منشورات الجامعة اللبنانية
قسم الدراسات التاريخية
٥

حرب في الكنائس

للدكتور أسد رستم
احد اساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

وضع موافقاً لانعقاد مؤتمر المباحث البيزنطية في
دورته الحادية عشرة ١٥ الى ٢٠ أيلول ١٩٥٨

بيروت - ١٩٥٨

منشورات الجامعة اللبنانية
قسم الدراسات التاريخية
٥

حرب في الكنائس

للدكتور أسد رستم
احد اساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

وضع موافقاً لانعقاد مؤتمر المباحث البيزنطيّة في
دورته الحادية عشرة ١٥ إلى ٢٠ أيلول ١٩٥٨

بيروت - ١٩٥٨

الفصل الاول

الرسوم والصور والايقونات في القرون الاولى

الهيكل والبيت: واظب المؤمنون بادئ ذي بدء على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ولازموا الهيكل بنفس واحدة ولكنهم «كسروا الخبز» اي الافخارستيا في البيوت[1] . ولما كان كسر الخبز هو العلامة الفارقة بين المسيحيين الاولين وبين اليهود جاز لنا القول ان المعبد المسيحي الاول قام في بيوت المؤمنين .

وظل البيت المعبد الاول مدة من الزمن لا نستطيع تحديدها بالضبط . ثم قبل النعمة اشراف واغنياء فاتسعت بيوتهم وقصورهم للاعداد المتزايدة من المؤمنين . ووافقت هندسة هذه القصور ظرف العبادة . فكان لكل قصر دار فسيحة يحيط بها رواق معمد فغرف للاكل والجلوس تفتح ابوابها على الرواق والدار . فتمكن الآباء من فصل الموعوظين عن المؤمنين عند الحاجة ومن فرز النساء عن الرجال ومن تخصيص مكان معيّن للآباء والشمامسة.

الكتاكوم: وهو لفظ يوناني مركب cata cumbos معناه الموضع حيث يحرق الميت او التراب الذي يركم على رماده او رفاته . ثم اطلق على المرقد والقبر والمدفن. ولجأ الاقدمون في مصر وفينيقية الى المغاور الطبيعية لدفن الموتى ثم حفروا هذه المغاور تحت الارض ونقروها في الصخور . ونقل الاتروسكيون هذه العادة الى ايطالية فشاعت فيها . ودعيت هذه المدافن في ايطالية كتاكومات .

---

(١) سفر اعمال الرسل ٢ : ٤٢ و ٤٦

وثابر المسيحيون الاميون على عادات الامم التي انتموا اليهــا في ملابسهم ومآكلهم وافراحهم واحزانهم[١] فدفنوا موتاهم في بعض اماكن من القرب في الكتاكومات وفي الشرق فوق الارض[٢] . وزيَّن المصريون والفينيقيون واليونانيون والاتروسكيون والرومانيون مدافنهم ولا سيما الكتاكومات فزيَّن المسيحيون كتاكوماتهم . واستعانوا لهذه الغاية بالرسامين انفسهم الذين تخصصوا في هذا النوع من الفن ومارسوه في تزيين مدافن الوثنيين . واتبع هؤلاء الرسامون التقاليد الفنية الهلينية فعمدوا الى الخطوط الهندسية الانيقة الطريفة والى الاواني والزهور والطيور . وخلّدوا في بعض الاحيان مشاهد معينة من حياة الميت المدفون .

التصوير الديني : وطفحت قلوب المؤمنين في القرون الثلاثة الاولى بالرجاء وقرب اللقاء. فنقروا في جدران الكتاكومات كنائس صغيرة واضافوا الى الرسوم التقليدية رسوماً دينية مسيحية . وضنوا بوقار السيد وجلاله وتوجسوا من الوثنيين واليهود خوفاً فاكتفوا بالرموز . واستوحوا مشاهدهم الدينية من امثال السيد فجعلوه في رسومهم راعياً صالحاً لا يختلف في مظهره عن الاله اليوناني الروماني هرميس كريوفوروس Hermes Criophoros حامل الكبش. وأظهروه في بعض الاحيان بمظهر اورفيوس Orpheios المغني اليوناني الذي كان يزيح الصخور والجبال بعزفه « الذي نزل الى الجحيم وصعد منها » ! وآثروا فيما يظهر الامرأة المصلية ذات العينين المتجهتين نحو العلا والذراعين المرتفعين الشاكرة الطالبة الرحمة. واستعان هؤلاء المسيحيون بالطاووس الوثني للتدليل على الخلود . وبالعنقاء phoinix للاشارة الى القيامة وبالحمامة طير إلهة الحب للتذكير بالروح القدس او بالنفس . ثم أدخلوا بعض الرموز ادخالًا منها الدرفيل الملفوف حول الخطّاف المثلث وفيه اشارة ظاهرة الى الصليب ومنها ايضاً حرف Tau اليوناني وفيه رمز الى سر الفداء. ومنها السمكة ولفظها اليوناني يجمع الحروف الاولى من كلمات الآية « يسوع المسيح ابن الله المخلص » .

التعبد في الكتاكوم : وقال السيد: « تاتي ساعة حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » . وقال بولس ان ما يزرعه المؤمنون لا يحيا الا اذا مات وان ما يزرعونه هو حبة من الحنطة يؤتيها الله جسماً على ما يريد[٣] . فاحترم المؤمنون موتاهم وقاموا بزيارة قبورهم وصلوا وتناولوا طعاماً . وعصفت بهم انواء الاضطهاد من آنٍ الى آخر

(١) *Lettre à Diogenète*, Argentoratensis, I, 4; Tertullianus, Apologeticum, 42.

(٢) ZEILLER, J., *La Vie Chrétienne aux Deux Premiers Siècles*; FLICHE et MARTIN, *Hist. de l'Eglise*, I, 411-412.

(٣) رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس ١٥ : ٣٥-٣٨

فدفعتهم الى الصلاة عند القبور لينالوا المعونة وليلجأوا الى اماكن مقدسة في عرف الدولة لا يجوز العبث بحرمتها .

ولم يكتفِ المؤمنون بمجرد الزيارة وتقديم الصلاة في الكتاكومات بل انهم نقروا في صخورها كبلّات صغيرة اجروا فيها طقوس العبادة . وكانت هذه الكبلات مستطيلات مربعة تقابل مداخلها حنيات من النوع الذي نشيد اليوم وراء الموائد المقدسة . وبدأ المسيحيون في القرن الثاني يشيدون الكنائس على سطح الارض ايضاً . ودليلنا على ذلك صدور الاوامر بهدم الكنائس والعثور على بقايا بعضها . واشهر هذه واقدمها كنيسة الصالحية على الفرات التي كشف التراب عنها علماء جامعة يايل الاميركية منذ عشرين سنة .

ايقونات الكتاكومات : ومنذ ان بدأ المؤمنون بالتعبد في الكتاكومات بدأوا فيما يظهر يرسمون رسوماً دينية لغرض ديني معين هو تذكير المؤمنين بالعقائد الاساسية وتقريبها من مفهوم الجمهور بصور واضحة ناطقة بمجد ذاتها . فرسموا منذ نهاية القرن الثاني المسيح والعذراء ودانيال في جب الاسود ونوح في فلكه وابراهيم في محرقته . وبدأت تظهر صور آدم وحواء وصور المعمودية وقيامة ليعازر ولقاء المسيح بالسامرية وشفاء النازفة وعرس قانا الجليل وغير ذلك[١] . ويرى العالم الالماني بولس ستيغر ان كتاكومات القرن الثاني تعود الى القرن الثالث او الرابع وان صورها ورموزها وثنية لا تمت الى المسيحية بصلة . وهو قول ضعيف لا يقبله جمهور العلماء ورجال الاختصاص[٢] .

كنيسة الصالحية : واقدم آثار الكنائس الخاضعة لانطاكية ما عثر عليه علماء جامعة يايل الاميركية وعلماء اكاديمية النقوش والاداب الافرنسية في الصالحية دورة اوروبوس القديمة . وكنيسة الصالحية هذه انشئت فيما يظهر عند نهاية القرن الثاني . وهي غرفة كبيرة مستطيلة من غرف بيت كبير بالقرب من احد ابراج المدينة . وكان يدخل اليها من صحن البيت لا من الشارع .

وابرز ما في هذه الكنيسة حنيتها وصورها . اما الحنية التي كانت قبلة انظار المصلين فانها قامت في جدار الكنيسة الغربي وفوق جرن للمعمودية . واما الصور فانها زينت الجدران وذكرت المؤمنين بعجائب السيد كقيام المقعد والمشي على الماء وبحوادث العهدين الجديد والقديم كقصة آدم وحواء ومثل الراعي الصالح والنسوة عند القبر وداود وجليات الجبار والامرأة السامرية.

(١) Wilpert, Mgr., *Die Malereien der Katakomben Roms.*; Elliger W. *Zur Entstehung und Fruhen Entwicklung der Altchristlichen Bildkunst.*

(٢) Styger, P., *Die Romischen Katakomben*, Berlin, 1933.

والنقوش الكتابية يونانية وقد نصت احداها : « احفظوا المسيح » والثانية والثالثة : « واذكروا سيسيوس الحقير »[1] .

النواويس وتزويقها : الناووس معرَّب ناؤوس باليونانية معناه عند الفقهاء مقبرة النصارى . ومنه قولهم النواويس اذا خربت قبل الاسلام جاز اخذ ترابها للسماد. والناووس تابوت من حجر تجعل فيه جثة الميت . ويقابله عنـد علماء الفرنجة اللفظ اليوناني المركب سركوفاغوس ومعناه الحرفي اكل اللحوم. والاشارة الى نوع من الحجر اعتبره اليونانيون القدماء قادرًا على اكل جثث الموتى .

وأجاز المسيحيون الاولون الدفن بالنواويس وابتاعوا ما وجدوه معدًا للبيع منها. ولكنهم آثروا في انتقاء نواويسهم ما جاء خاليًا من رسوم البشر الناتئة ورسوم الحيوانات عاملين بنص الوصية لا تصنع لك منحوتًا ولا صورة شيء . واكتفوا بالمخطط منها تخطيطًا .

ثم جاء القرن الثالث فاذا بالمؤمنين يجيزون بعض الرسوم الناتئة كرسم الراعي الصالح حاملًا الكبش على كتفيه او رسمه ناظرًا الى الامرأة المصلية . واجازوا ايضًا رسم هامة الرسل بطرس حاملًا كبشًا يحيط به عدد من الرعاة . وجاء ايضًا رسم بولس وتوما وفيليبوس والحبشي ورسوم المعمودية والعشاء الرباني[2] .

نقطة الانطلاق : وفك قسطنطين القيود (٣١٣) وساوى بين النصرانية والوثنية وعطف على النصارى . فانطلقوا احرارًا بعد كبت دام طويلًا . وراحوا يتبارون في تشييد الكنائس وتزيينها . واستبشع البعض الجدران الخاوية وانقبضت منها نفوسهم. فعمدوا الى تزيينها وحاولوا ان يجمعوا بين الزينة والفائدة فجعلوا من جدران الكنائس الجديدة توراةً وانجيلًا مصورين تصويرًا . فبدأوا بجنة عدن وانتقلوا منها الى بلوطة ممرة وقبر سارة ولقاء يوسف باخوته فموسى والشريعة فبيت راحاب فسبي اسرائيل فبشارة مريم فقيامة ليعازر فآلام السيد فموته فقيامته فصعوده . وكتبوا تحت هذه التصاوير عبارات تبين مواضيعها[3] . وتمَّ كشف اللثام عن المحيا فبزغ وجه السيد مشرقًا . واحتلَّ شخصه نقطة الدائرة في فن

(١) Rostovtzeff, M.I., *The Excavations at Dura-Europos, Fifth Season*, 1931-1932, 237-285.

(٢) Wilpert, J., *Sarcofagi Cristiani Antichi*, I, Pl. I f.; Ramsay, Sir William, *Studies in the History and Art of the Eastern Provinces*, Pl. I.

(٣) Gregoire de Nysse, *P.G.*, Vol. 46, Col. 737; Gregoire de Naziance, *P.G.*, Vol. 35, Col. 1037; Brehier, L., *Art Chrétien*, 107.

جديد[١] . واستعان رجال الفن من المسيحيين بالفسيفساء الملونة وسبقت رومة غيرها ، فيما يظهر، في هذا المضمار فانتج رجالها في عهد البابا سيريقيوس (٣٨٤—٣٩٩) فسيفساء كنيسة القديسة بودنسية التي تعد بحق اولى روائع الفن المسيحي[٢] .

بدء المعارضة : وما كاد رجال هذا الفن ينطلقون الى العمل والاخراج حتى انبرى لمقاومتهم عدد من كبار الآباء ورجال الدين. واشتدت المقاومة في اسبانية فاتخذ مجمع إلفيرة قرارًا في حوالي السنة ٣٠٠ حرَّم به وجود الصور في الكنائس كي لا يرسم على الجدران من يكرم ويعبد[٣] .

ولم يرضَ افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين († ٣٤٠) عن هذا التزيين والتزويق ورأى في تعليق الصور واقامة التماثيل بدعة وضلالاً . وهو يذكر لهذه المناسبة تمثال السيد في بانياس فيقول ان تلك التي دنت من وراء السيد ومست هدب ردائه فبرئت كانت من بانياس فينيقية . فلما عادت الى بلدتها أقامت امام بيتها تمثالين من النحاس احدهما يمثل امرأة جاثية مادة يديها متضرعة والآخر يمثل السيد واقفاً ناظرًا اليها مادًّا يده نحوها . يعلق افسابيوس فيذكر ان هذين التمثالين كانا لا يزالان قائمين في عصره وان النبات عند قدمي تمثال السيد كان يشفي جميع الامراض[٤] . وكتب هذا الاسقف الى قسطندية ابنة قسطنطين محتجاً على جرأة اولئك الذين يعلقون صورة الجوهر الالهي الروحي[٥] . واشترك في هذه المعارضة في هذا القرن الرابع استيريوس اسقف اماسية البونط فاحتج على التطرف في تزيين الكنائس[٦] . ولعل القديس ابيفانيوس لم يرضَ هو ايضاً عن ادخال الصور الى المعابد[٧] .

اما باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيسي فانهما استصوبا الاستعانة بالتصوير فقال الاول:

---

(١) Leclercq, *Nimbe*, *Dict. Arch. Chrét.*

(٢) Labriolle, P., *Culture Chrétienne*; Fliche et Martin, *Hist. de l'Eglise*, III, 435.

(٣) Hefele-Leclercq, *Hist. des Conciles*, I, 240, n. 4.

(٤) Eusebe, *Hist. Ecc.*, VII, 18.

(٥) *Mansi*, XIII, Col. 313, 317; *Pitra, Spicil. Sol.*, I, 383 ff.

(٦) *Hom. de divite et Lazaro*; in *Laudem S. Euphemiae.*

(٧) *Mansi*, XIII, Col. 291, 335.

وما يعجز التاريخ عن تعليمه بالسماع يقربه التصوير الصامت بالقدوة والمثال(١) . وقال غريغوريوس واصفاً الكنيسة التي شيدت على اسم الشهيد تيودوروس : لقد تمكن الفنان من اظهار اعمال هذا الشهيد وآلامه بفنه الملون كأنه يكتب بلسان. فالتصوير الصامت يتكلم على الجدران فيقدم اكبر الخدمات . وذاك الذي ضم الحجارة بالفسيفساء جعل الارض التي نطأ بارجلنا جديرة بالتاريخ(٢). والجدير بالذكر لمناسبة الاشارة الى الفسيفساء. ان هذه الصناعة الفنية تقدمت تقدماً ملموساً في القرن الرابع وشاعت في رومة وتوابعها فزينت جدران الكنائس وارضها . واروع ما صنع منها في هذا القرن مشهد المسيح محاطاً ببطرس وبولس وسائر الرسل في باسيليقة القديسة برودنسية التي شيدت في عهد البابا سيريقيوس(٣٨٤–٣٩٩)(٣) .

في القرنين الخامس والسادس : والغريب في التصوير الكنسي في القرنين الخامس والسادس ان المصورين استوحوا بعض مواضيعهم وتفاصيلها من اناجيل الابوقريفة . وهو امر ذو بال يوضح ، كما سنرى في حينه ، نوعاً معيناً من انواع المقاومة(٤) . ومن مميزات التصوير في هذين القرنين الاهتمام الشديد ، بعد مجمع افسس ، بتصوير العذراء ملكة السماوات اما وحدها او محاطة بالرسل او حاملة بين ذراعيها الطفل يسوع . ومن مميزات هذا العصر ايضاً تصوير الملائكة شباناً باجنحة على طراز تماثيل النصر الوثنية . وانجز ديونيسيوس الاريوباغي الكاذب في مستهل القرن السادس رأيه الخيالي في الهيرارخية السماوية فأوحى بذلك بعض مشاهد الظفر في صور هذا العصر(٥) .

وأصبح بناء الكنيسة في القرن السادس قصر المسيح . فأخذ المهندسون والرسامون وسائر الفنانين عن قصور الاباطرة مخططاتها وطرق تشييدها واعمدتها وسقوفها وبلاطها وآنيتها وألبستها. وظهر بعض القديسين والشهداء ببزات كبار رجال البلاط الفاخرة الزاهية(٦) .

الصور الخصوصية : وأقدم المؤمنون منذ تحرر النصرانية على اقتناء صور صغيرة تمثل المسيح او العذراء او القديسين. واشتدت عنايتهم بهذه الصور وتعلقوا بها. ومن

(١) *Hom.* XIX.

(٢) *Pat. Gr.*, Vol. 46, Col. 757; Epist. CV.

(٣) *Mosaïque, Dict. Arch. Chrét. et de Liturgie.*

(٤) Brehier, L., *Art Chrétien*, 61, 98; Grisar, H., *Hist. de Rome et des Papes*, I, 272.

(٥) Labriolle, P., *Culture Chrétienne*; Fliche et Martin, IV, 575-576.

(٦) Brehier, L. et Batiffol, P., *Les Survivances du Culte Impérial Romain*, Paris, 1920; Grabar, A., *L'Empereur dans l'Art Byzantin*, Paris, 1936.

هنا اهتمام قسطندية اخت قسطنطين برسم صورة المسيح عن صورة سمعت بوجودها . ومن هنا ايضاً ابتهاج أبجر ملك الرها بصورة المسيح التي رسمها حنّان له واعتناؤه بها وحفظه لها في محل لائق بمقامها في قصره[1] . واقدم ما تبقى من هذه الصور الخصوصية الصغيرة ما وجد في دير القديسة كاترينة في سيناء. وحفظ بعدئذ في متحف اكادمية كيف الكنسي . وهي صور رسمت على لوحات من الخشب صغيرة بالوان شمعية تمثل المسيح او العذراء. او يوحنا المعمدان او القديسين سرجيوس وباخوس او غيرهم من الشهداء[2] .

اكرام الصور : ولعل الكاربوكراتيين الغنوسيين المسيحيين سبقوا غيرهم الى اكرام صورة المسيح والسجود لها وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني . ولكنهم تمشوا في ذلك على طرق الوثنيين . فانهم لم يكتفوا بالاكرام والسجود بل مارسوا امام صورة المسيح وتماثيله المتوجة طقوساً وثنية معروفة[3] .

ثم جاء القرن الرابع بزهاده القديسين وعجائبهم فبدأ المؤمنون يتبركون بذخائر مَن خصّهم الله بروح منه . وكان بين هذه الذخائر صور الزهاد انفسهم مبصومة على لوحات من الطوب أعدها القديسون انفسهم من الغبار الذي احاط بهم ومن عرق اجسادهم او ما شاكل ذلك. فأكرم المؤمنون هذه الذخائر واعتبروها متوشحة بروح الله الذي حلّ على من صنعها . وشمل اكرام المؤمنين كذلك الصور التي لم ترسمها يد بشرية وانما انطبعت انطباعاً على قطعة من القماش او غير ذلك لاصقت وجه القديس . ومن الذخائر العجائبية التي شاعت في هذا العصر جثث القديسين او اثوابهم او تراب الارض التي جرت عليها حوادث مقدسة . واذا حفظت هذه الذخائر في صناديق معينة ورسمت على هذه الصناديق صور محتوياتها انتقلت قداسة المحتويات الى الصور اللاصقة بها. وهكذا اصبحت الصور مقدسة لاتصالها المباشر اما بالقديسين انفسهم او بذخائرهم واصبحت آنية لقوة الله . ثم تطور هذا القول مع مرور الزمن فشمل كل صورة مقدسة ، كل ايقونة ، سواء أَلاصقت قديساً ام لا تلاصقه[4].وعم هذا القول جميع

(١) *Patr. Gr.*, Vol. 20, Col. 1545-1550; Florovskfl, G., *Origen, Eusebius, and the Iconoclastic Controversy, Church History*, 1950, 77-96; *Doctrina Addai*, Dobschutz, *Christusbilder*, 171.

(٢) Sotiriu, G.A., *Theotokos Ethroned, Bnull. Corresp. Hellen.*, 1946, 552-556; *Mélanges Grégoire*, 607-610.

(٣) Dobschutz, *Christusbilder*, 98.

(٤) Grabar, A., *Martyrium*, II, 343-357; Holk, K., *Der Anteil der Styliten am Aufkommen der Bilderverehrung, Gesammelte Aufsatze zur Kirchengeschichte*, II, 388-398; Dobschutz, *Christusbilder*, 277-279.

الكنائس ولم يشذ النساطرة كما يرتأي العالم الالماني كارل هول في كتابه المشار اليه في الهامش . فقد اوضح لورانس براون ان النساطرة لم ينزعوا الايقونات من كنائسهم قبل العصور الحديثة[١] .

الاباطرة والايقونات : وليس في ما تبقى من آثار قسطنطين الكبير وخلفائه ما يدل على استعمال الايقونات بشكل حكومي رسمي . وجل ما هنالك ان قسطنطين وخلفاءه اتخذوا من الصليب الذي ظهر لقسطنطين شارةً لنصرهم وسلطتهم. وحاولت قسطندية بنت قسطنطين كما سبق وأشرنا ان تقتني صورة السيد بواسطة افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين فجاء رد هذا الاسقف مانعاً محرماً . وعلى الرغم مما جاء في رسائل البطاركة الى ثيوفيلوس[٢] وما اوردته بعض المراجع المتأخرة فانه لا يجوز افتراض ظهور صورة السيد على مسكوكات هؤلاء الاباطرة[٣] .

واقدم رسوم السيد المخلص في آثار الاباطرة ما جاء على دفتي ذبتيخة يوستينوس الفتى التي صنعت في السنة ٥٤٠ . فقد جاء على كل دفة من دفتي هذه الذبتيخة رسم السيد قائماً بين رسمي يوستنيانوس وثيودورة[٤] . ويجيء بعد هذا رسم السيد على ذبتيخة بربريني . وهي في الارجح ذبتيخة امبراطورية صنعت للامبراطور يوستنيانوس في حوالي السنة ٥٥٠[٥] .

ورأى الروم في الحرب الفارسية حرباً مقدسة . فقد جاء لبروكوبيوس مؤرخ يوستنيانوس في كلامه عن حوادث السنة ٥٤٤ بان كسرى ملك الفرس قاوم الله اله المسيحيين لا يوستنيانوس[٦] .وجاء في حوليات بسكال عن نهاية هذه الحرب في عهد هرقل في السنة ٦٢٨ ان كسرى المتكبر المتجبر كان قد ثار على المسيح وانه الثيوماخوس « محارب الله » والثيوميسيتوس « مبغض الله » وان جيوش «محبي المسيح» رموا به الى الهاوية ومحوا ذكره[٧] .

---

(١) BROWNE, L.E., *The Eclipse of Christianity in Asia*, 79 f.

(٢) *P.G.*, Vol.95, Col. 384.

(٣) MAURICE, J., *Numismatique Constantinienne*, II, 256 f.

(٤) GRABAR, A., *Iconoclasme Byzantin*, 18, 24.

(٥) DELBRUECK, R., *Die Consulardyptichen und Werwandte Denkmaler*, 188; BAYNES and MOSS, *Byzantium*, Pl. 37.

(٦) *De Bello Persico* (Bonn) I, 205.

(٧) *Chronique Pascale*, 728.

ورصّع هرقل بياناته الرسمية بعبارات من المزامير وجعل اعداءه الفرس اعداء السيد . وأوجب جاورجيوس بيسيذس شاعر القصر محق ديانة الفرس لانها كاذبة باطلة ودعا للنصرانية لانها دين الحق . ورأى في جيش هرقل العدالة نفسها زاحفة ضد الشر[١] .

وفي غمرة هذا الحماس الديني وهذه الحرب بين دين المسيح ودين زرادشت أضاف طيباريوس الثاني (٥٧٨—٥٨٢) اسم قسطنطين الى اسمه ولجأ الى الصليب المقدس فضربه على مسكوكاته الذهبية فوق درجات النصر وضربه على مسكوكاته الفضيــة مكللًا[٢] . وارفقه بالعبارة Lux Mundi مذكرًا برائد الدولة المسكوني . وظل الصليب مضروباً على مسكوكات الروم اعواماً طوالًا . ولم يستغنِ عنه احد من خلفاء طيباريوس الارثوذكسيين او المحطمين .

ثم لجأ موريقيوس الى منديل السيد في الرها فحمله عالياً في موقعة ارزامون[٣] . وفي السنة ٦٢٢ عاد هرقل الى هذا المنديل نفسه فرفعه بيديه وأظهره لجنوده قبيل الزحف على الفرس[٤] . وأصبح المنديل شارة النصر وعنوان عناية المسيح بشعبه فاستوجب كل تقدير واحترام واكرام.

ولجأ موريقيوس ايضاً الى صورة السيدة والدة الاله في اختام الدولة فأحلّها على صورة النصر الوثنية التي كانت لا تزال محفورة على هــذه الاختام[٥] . وجاء يوستنيانوس الثاني (٦٨٥—٦٩٥ و٧٠٥—٧١١) فاكمل احترام الايقونات الرسمي بضربها على مسكوكاته[٦] .

---

(١) Georges Pisides, *De Expeditione Persica*, *P.G.*, Vol. 92, Col. 1197 f., 1302, 1314-1315.

(٢) Grabar, A., *op. cit.*, 28, n. 2.

(٣) *Theophyl. Samokatta*, *Hist.* (de Boor), 73; Dobschutz, E. von, *Christusbilder*, 127.

(٤) Georges Pisides, *Exp. Per.*, *P.G.*, Vol. 92, Col. 1207-1208.

(٥) Grabar, A., *op. cit.*, 34-35.

(٦) *Ibid.*, 36-45.

الفصل الثاني

الاعتراض على الايقونات والنهي عنها واخراجها من الكنائس

٧٢٦ - ٧٥٤

خلع يوستنيانوس الثاني : واستنزفت حروب هذا الفسيلفس كل ما في الخزينة . وبرغم ه ظل يوستنيانوس الثاني يحذو حذو سميه يوستنيانوس الكبير فأر ان يقوم هو ايضاً بانشاءات تخلد اسمه . فاغتصب الاموال وصادر الاملاك فجر على نف كراهية الطبقات الشعبية بعد ان نفر الاشراف والكنيسة ورجال الجيش. وبعد الذي اصي به من مس في الحرب العربية بدأ يقتل ضباطه ويحبسهم. فتجرأ عليه لاونديوس القائد الا (٦٩٥) وجدع انفه ونفاه الى الخرسون . وسلّم وزيري يوستنيانوس الى الجماهير فطافوا واحرقوهما .

واندلعت نيران الثورة في الحجاز والعراق وغيرهما . فاستطاع الروم ان يستعيدوا ما لهم من نفوذ وسلطة في افريقية . ثم اعاد المسلمون الكرة عليها في صيف السنة ٦٩٨ فدخلو آمنين. ونجا القسم الاكبر من جيش افريقية ودبروا مؤامرة لخلع لاونديوس ونادوا بطيباريو عبسيمروس ورونغاريوس الاسطول فسيلفساً . فاستولوا على القسطنطينية . وجدع طيباريو الثالث هذا انف لاونديوس وحبسه في احد الاديرة (٦٩٨ — ٧٠٥) . ووفق طيباريوس حروبه ضد المسلمين واسترد مناطق الحدود الجنوبية وغزا سورية الشمالية . ولكن الاه والجيش كانوا قد اصبحوا لا يخضعون لاحد . وباتت ادنى هزة كافية لقلب عرش الروم .

وفرّ يوستنيانوس الثاني من منفاه واستعان بتربيل ملك البلغار فعاد الى العرش في الد

٧٠٥ . وكان قد عوّل الا يفعل شيئاً الا ان يثأر لانفه المبتور . فقطع رأسي لاونديوس وطيباريوس وسمل عيني البطريرك ووضع كثيرين من الوجهاء في اكياس وأغرقهم في البوسفور. وفي السنة ٧١١ ثار فيليبيكوس البرداني فقتل يوستنيانوس وابنه . ولكنه لم يكن سوى رجل لهو ولذة فقضى وقته (٧١١—٧١٣) منصرفاً الى المتع. وكان من اصحاب المشيئة الواحدة فعزل البطريرك كيروس واقام يوحنا السادس بطريركاً محله . ثم اتفق قائدان فعزلا فيليبيكوس. واقام الشعب رئيس كتاب القصر فسيلفساً باسم انسطاسيوس الثاني. فضبط زمام الملك وعزل البطريرك يوحنا السادس واقام جرمانوس عوضه . ولكن في السنة ٧١٦ تمرد الجند واعلنوا خلعه ونادووا بثيودوسيوس الثالث فسيلفساً .

لاوون الثالث والامويون : (٧١٧—٧٤٠) وكان البلغاريون والمسلمون في اثناء هذا كله يغزون ولايات الحدود كل من صوبه . وكانت غزواتهم تزداد حدة وتوغلاً . ولكن الروم انجبوا لاوون الاسوري رجل الساعة . فتبوأ العرش برضى ثيودوسيوس الثالث وموافقة البطريرك ومجلس الشيوخ . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي (٧١٥—٧١٧) يحسب انه هو المقصود بالحديث القائل ان خليفة يحمل اسم نبي سيفتح القسطنطينية . فجيش جيشاً عظيماً بقيادة مسلمة وأعد اسطولاً كبيراً عقد لواءه لوزيره سليمان. فقام مسلمة من طرسوس الى الدردنيل والتقى في أبيدوس بسليمان وعمارته . وقطع المسلمون الدردنيل وزحفوا على القسطنطينية براً . وقامت عمارتهم بالعمل نفسه من البحر . واعتمد مسلمة على تجويع المدينة ولكن لاوون كان قد حسب لهذا المحذور . اما مسلمة فانه لم يحسب الحساب لشتاء قارس . وجاء شتاء السنة ٧١٧—٧١٨ بثلج دام ثلاثة اشهر . فمات عدد كبير من جنود مسلمة بالبرد وداء الزحار . ثم جاء البلغاريون من الوراء فقتلوا من المسلمين عشرين الفاً . وتسللت سفن النار الرومية الى مرسى الاسطول المصري فاحرقته . فتراجع مسلمة بعد ان فقد معظم جيشه . وتعرض الباقي من عمارته لعاصفة في بحر ايجه فلم يعد الى شواطئ الشام سوى خمس سفن فقط . وكانت محاولة مسلمة الاخيرة من نوعها في تاريخ الخلفاء الامويين فلم يتسنَّ لهم بعدها الدخول الى اوروبة الشرقية. بيد ان غزوات المسلمين لم تنتهِ عند الفشل الذي حلَّ بهم حول اسوار القسطنطينية . فقد اغاروا في السنة ٧٢٥ على قبدوقية وهددوا نيقية . وفي السنة ٧٣٧ عادوا الى الحرب وبلغوا تيانة فضربوا عليها الحصار في السنة ٧٣٩ . ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في يوم اكروينون . ووافق هذا كله ظهور الخزر في اقصى الشمال فاستغل لاوون هذا العنصر الجديد لصالح الدولة وتعاون مع الخزر

وأزوج ابنه قسطنطين من ايرينة ابنة خاقان الخزر فهدد الدولة الاسلامية في اذربيجان في حدودها الشرقية الشمالية .

لاوون والاستقرار في الداخل : وأحب لاوون ان يأمن شر الفوضى التي كانت قد انتشرت في الدولة قبيل وصوله الى الحكم .فضرب بيد من حديد ستراتيجوس صقلية وانسطاسيوس الثاني وأشرك ابنه قسطنطين في الملك منذ ولادته . وعني بالجيش وأعاد النظر في الثيمات على ضوء السياسة الداخلية ولا سيما في آسية . وكانت الاوبئة وهجمات البرابرة قد أنقصت عدد الفلاحين في الريف وعدد السكان في العاصمة نفسها وفي غيرها فنقل اليها جميعها شرقيين من مناطق الحدود الجنوبية والشرقية الاسيوية .

ورأى ان القوانين والانظمة اصبحت تفتقر الى اعادة نظر وتعديل وان اللغة اليونانية باتت لغة السكان الوحيدة فانتقى في السنة ٧٢٦ لجنة من كبار رجال القانون لاعادة النظر في قوانين يوستنيانوس اللاتينية واصطفاء المفيد منها وتحسينه ووضعه باليونانية . وأطلق على مجموعته هذه اسم الاكلوغة ومعناه المنتخبات . وحضّ القضاة على التجرد من العاطفة وعلى الحكم بالعقل والعدل وعلى احترام حقوق الفقراء والمساكين . واستمد من العرف الذي ساد الاوساط الريفية الذي لم تشمله الاكلوغة فاشترع قانوناً للمزارعين .

لاوون واليهود : وأدى نزوع لاوون الى الاستقرار واندفاعه في سبيله الى النظر في أمر اليهود الذين حرموا المساواة في الحقوق مع النصارى فشكوا من مركب نقص داووه بانتقاد النصارى والنصرانية . وشاركهم في هذا الانتقاد بقية باقية من اتباع مونتانوس الافريجي الذي طالب بالعودة الى نصرانية القرن الاول وبتطبيق الناموس كما نصت عليه الاسفار العتيقة . وخشي لاوون ، فيما يظهر هذه الروح الهدامة وما قد يتأتى عنها من مركّب خيبة وانهزام فأمر في السنة ٧٢٢ بوجوب تنصر اليهود والمونتانيين[1] .

اس التحريم والتحطيم : وقال فيليبيكوس البرداني (٧١١ — ٧١٣) الارمني بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة . فلما تسنم عرش الفسالسة بعث قضية المشيئة الواحدة من قبرها بعد ان مضى على دفنها ثلاثون عاماً فنبذ قرارات المجمع المسكوني السادس (٦٨١) وأعلن القول بالمشيئة الواحدة قولًا ارثوذكسيًا قويًا . ثم حطم صورة المجمع المسكوني

---

(١) Dolger, F., *Regesten der Kaiserurkunden des Ostromischen Reiches*, 286; Theophanes, *Chronographia*, a. 6214; Ostrogorsky, G., *Hist. of Byz. State*, 142; Starr, J., *The Jews in the Byzantine Empire*, Athens, 1939.

السادس التي قامت في القصر المقدس وطمس الكتابة التذكارية التي كانت قد نقشت فوق مدخل المليون Milion تخليداً لاعمال المجمع السادس وأمر برسم شخصه الامبراطوري وشخص سرجيوس البطريرك على جدار القصر[١] . وفي مطلع السنة ٧١٢ خلع البطريرك القويم الرأي كيروس ورفع الخارتوفيلاكس يوحنا الى السدة القسطنطينية باسم يوحنا السادس . ثم كتب الى قسطنطين الاول بابا رومة موجباً الاعتراف بالمشيئة الواحدة واعادة اسماء البطريرك سرجيوس والبابا اونوريوس وغيرهما الى الذبتيخة . وأمر بحرق اعمال المجمع السادس ونفى كل من اعترض على هذه الاجراءات[٢] . فلما وصل أمر الفسيلفس الى رومة ومعه صورة فيليبيكوس ورأس يوستنيانوس رفض البابا قبول الامر الامبراطوري والصورة المرفقة . ولما علم بتحطيم صورة المجمع السادس وحرق اعماله أمر بصنع صندوق لاعمال المجامع الستة وزينه برسومها وادخله باحتفال ديني الى كنيسة القديس بطرس[٣] .

وقُتل فيليبيكوس في الثالث من حزيران سنة ٧١٣ وتولى العرش بعده انسطاسيوس الثاني (٧١٣—٧١٦) . وقال انسطاسيوس قولاً قوياً ونبذ القول بالمشيئة الواحدة. فحطَّم صورة سرجيوس وفيليبيكوس واعاد رسم المجمع السادس وكتب بذلك الى البابا وأرسل صورته ايضاً فتقبل البابا الرسالة والصورة بالاكرام اللائق بهما وادخل اسم الفسيلفس في الذبتيخة[٤] . وكتب البطريرك يوحنا ايضاً مؤكداً انه لم يقبل الترقية في عهد فيليبيكوس الا ليضمن اهون الشرين لان الفسيلفس كان يضمر نبذ اعمال المجمع الخلقيدوني[٥] . وتوفي بعد حين فخلفه جرمانوس الاول (٧١٥—٧٢٩) .

يزيد اول المحطمين : وكان ما كان من أمر عبد الملك بن مروان (٦٨٥—٧٠٥) فلما استتب له الأمر واخضع من اخضع من الثوار والمتمردين وكافح من كافح من الاعداء الفاتحين عني بتعميم قواعد الاسلام وتطبيقها على نظم الدولة ومنظماتها . فاستبدل اسم المسيح وعبارة التثليث في اعلى الطوامير بالعبارة : « قل هو الله احد » . وكتب في صدور

(١) *Agathonis Diaconi Peroratio, Mansi*, XII, Col. 192; Ebersolt, J., *Le Grand Palais de Constantinople*, 29.

(٢) *Mansi*, XII, 190.

(٣) *Liber Pontificalis* (Duchesne), 391; Brehier, L., *Derniers Heraclides*; Fliche et Martin, V, 206-207; Ostrogorsky, G., *Byz. State*, 135-136.

(٤) Dolger, F., *Reg.*, 273; *Liber Pontificalis*, 392-394; *Mansi*, XII, Col. 193-196.

(٥) *Mansi*, XII, Col. 196-210; Theophanes, *Chron.*, a. 6203; *Nicephore*, 48.

كتبه الى الروم قل هو الله احد وذكر النبي مع التاريخ . فكتب اليه يوستنيانوس : انكم قد احدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون . فأشار خالد بن يزيد على عبد الملك بالتمسك بما أحدثه في القراطيس وقال : حرّم دنانيرهم واضرب للناس سككاً ولا تعفِ هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير[1] . وسكّ عبد الملك دنانيره الاولى في السنة ٦٩٢ وعليها العبارة : « ومحمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وعرَّب عبد الملك الدواوين وأخرج منها عدداً كبيراً من النصارى مستعيضاً بالمسلمين[2] .

ثم جاء الوليد بن عبد الملك (٧٠٥—٧١٥) فاستولى على كتدرائية دمشق وغيّر فيها وبدّل وجعل لها صحناً يتفق ومراسيم الصلاة . وبذل بسخاء لتزيين الاروقة فغشى جدرانها في حوالي السنة ٧٠٦ بالفسيفساء . وجرى على اسلوب والده الديني فخلت هذه الفسيفساء من صور المخلوقات الحية[3] .

وفي السنة ٧٣٠ تولى الخلافة الاموية يزيد الثاني (٧٢٠—٧٢٤) ابن عبد الملك . فذهب مذهب اخيه الوليد ووالده عبد الملك وأمر في السنة ٧٢٣ بتحطيم جميع الصور في جميع الكنائس والبيوت والمحلات العامة.وأنفذ من يحطمها فحطمت[4] . ولا تزال اثار هذا التحطيم ماثلة للعيان في بعض ما تبقى من آثار كنائس القرن الثامن[5] .

وقال الراهب يوحنا ممثل البطاركة الشرقيين في مجمع نيقية الثاني في السنة ٧٨٧ ان يهودياً عملاقاً فاحش الطول حضّ يزيد الثاني على تحطيم الايقونات مؤكداً انه ان فعل طال ملكه ثلاثين عاماً . وفصَّل العملاق فأوجب تحطيم كل تمثيل للحياة في الكنائس أنى وجد

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٤٩ والكامل لابن الاثير ج ٤ ص٥٣ .

(٢) البلاذري ص١٩٣ و ٣٠٠—٣٠١ والاحكام السلطانية للماوردي ص٢٤٩—٢٥٠ وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) Eustache de Lorey, *Les Mosaïques de la Mosquée des Omayades à Damas*, Cahiers d'Art, 1929, 306 ff.; Diehl, C., *La Peinture Byzantine*, Paris, 1939, 69.

(٤) Denis de Tell-Mahre (Chabot), 17.

(٥) Avi-Yonah, *Byzantine Church at Suhmata*, Quarterly of Dept. of Antiq. in Palestine, 1934, 92-105; Baramki, D., *Early Christian Basilica at Ain Hanniya*, *Ibid.*, 113-117; Vaux, R. de, *Une Mosaïque Byzantine à Main (Transjordanie)*, Rev. Biblique, 1938, Quibell, J.E., *Selective Mutilation of Paintings and Sculptures*, *Excavations at Sqqara*, 227-258; 1908-1910, Pl. IV.

ان على اغطية المذابح او على الآنية المقدسة او على اللوحات او في الفسيفساء.[١] . وما كاد ينتهي يوحنا من روايته هذه حتى انتصب شاهد عيان فاثبت وقوع التحطيم بامر من يزيد[٢] .

ايقونات القرن السابع الثامن : وكانت ايقونات القرن السابع الثامن قد تنوعت وتكاثرت وأصبحت عادية وعجائبية . واشتهرت من بين هذه ايقونات اخيروبيتية Acheiropoietes لم ترسمها يد بشرية بل انطبعت انطباعاً من جراء ملاصقتها لجسم الشخص الذي مثلت . ففاخرت الرها بمنديل المخلص الذي حمل صورة وجهه الكريم لمجرد وقوعه عليه . واحتفظت رومة واكرمت منديل القديسة فيروتيقية الامرأة اليهودية التي مسحت وجه السيد قبيل الصلب فغنمت بصورته مطبوعة على منديلها طبعاً[٣] . وتبركت كنيسة سيدة خالكوبراتية Chalcopratia في القسطنطينية بافوريون السيدة وزنارها ورسمها فاصبحت مزارًا كبيرًا يؤمه المؤمنون والمؤمنات في كل صباح وكل مساء . وعرفت ايقونة سيدة بلاخيرنة Blachernes في القسطنطينية ببركاتها المجيدة وقدرتها الفائقة[٤] .

واستعان آخرون برسالة لنتلوس الى مجلس شيوخ رومة للتعرف الى اوصاف السيد واشكاله[٥] واعتبروا هذه الرسالة صحيحة فزادوا ايقوناته مكانة واكراماً.واندفع المؤمنون في التكريم والتعظيم فأثاروا بذلك انتقاد مراكب على درس بعض اسفار العهد العتيق ومن احتك باليهود ومن جاور المسلمين .

وكان فيلوكسينس Philoxenes اسقف منبج قد احتج على تصوير السيد والقديسين منذ السنة ٤٨٨[٦] . وكان اغاثيوس الذي توفي في السنة٥٨٢ قد اضطر ان يدافع عن اكرام ايقونة مار ميخائيل ضد وابل من الانتقاد[٧] . وكان اسقف رومة غريغوريوس الكبير قد اضطر بدوره ان يعظ سيرينوس اسقف مرسيلية ، الذي حطم الايقونات، بالاتزان والتروي وذلك

(١) *Patr. Gr.*, Vol. 109, Col. 517-520; *Mansi*, XIII, Col. 196-200.

(٢) *Mansi*, XIII, Col. 200; Creswell, K.A.C., *Lawfulness of Painting in Early Islam*, *Ars Islamica*,1946, 159-166;Wellhausen, J., *Das Arabische Reich und sein Sturz*, 221.

(٣) Brehier, L., *Icones non faites des mains d'homme*, Rev. Arch., 1932, 68-77; Runciman, S., *Some Remarks on the Image of Edessa*, Camb. Hist. Journ., 1931, 238-252.

(٤) Ebersolt, J., *Sanctuaires de Byzance*, 50, 56-57.

(٥) Didron, *Manuel d'Iconographie Chrétienne*, 452-454.

(٦) Theophanes, *Chron.*, a. 5982.

(٧) *Anthologie Grecque*, *Epigrammes Chrétiennes*, (Waltz), I, 34-36.

في السنة ٥٩٩[١] . وكان الجدل بين اليهود والنصارى قد اشتد في قبرص في عهد لاونديوس اسقف نيابوليس (٥٩٠—٦٦٨) فاستعان هذا الاسقف بقوزما الراهب المصري صاحب المكتبة الكبيرة راجياً امداده بما يدفع به حجج اليهود في موضوع الايقونات[٢]. ولم تخلُ القسطنطينية نفسها من شيء من هذا. فان اركولفوس شاهد بام عينه تحطيم احدى الايقونات فيها في السنة ٦٧٠[٣].

قسطنطين وتوما : وكثر المحتجون على اكرام الايقونات في آسية الصغرى . وتكتلوا فيما يظهر في الربع الاول من القرن الثامن في فريجية . وتبنى آراءهم بعض الاساقفة. واشهر هؤلاء قسطنطين نقولية وتوما كلوذيوبوليس وثيودوسيوس افسس ابن الفسيلفس طيباريوس المخلوع . فلما أعلن يزيد الخليفة الاموي موقفه من الايقونات وبدأ بتحطيمها او تشويهها في كنائس انطاكية واورشليم والاسكندرية انبسطت آمال قسطنطين وتوما وقاما الى القسطنطينية واتصلا ببطريركها جرمانوس الاول . وبسط قسطنطين موقفه من الايقونات امام البطريرك فتدبّر هذا الحبر حججه وناقشه فقطعه عن الكلام وأعاده الى ابرشيته. وكان يوحنا متروبوليت سيناذة ورئيس قسطنطين قد كتب الى جرمانوس الاول يشكو من موقف هذا الاسقف . فظن جرمانوس انه أقنع قسطنطين فكتب الى متروبوليت سيناذة يطمئنه ويشير الى قسطنطين بالعبارة « المحبوب من الله » . ودفع برسالته هذه الى قسطنطين نفسه وطلب اليه ان يوصلها الى رئيسه المتروبوليت[٤] . ولكن قسطنطين احتفظ برسالة البطريرك ولم يوصلها الى رئيسه ! فكتب جرمانوس اليه يهدده بالربط . فأشار توما باخفاء رسالة البطريرك والسكوت عنها ! فكتب البطريرك الى توما يدافع عن اكرام الايقونات ويوجب الابتعاد عن الشغب والقلاقل ويذكر باحترام الفسالسة للايقونات واكرامهم لها[٥].

لاوون الثالث والايقونات : ويستدل من رسالة جرمانوس الى توما ومن قوله فيها ان الفسالسة اكرموا الايقونات واحترموها انه لم يدرِ آنئذٍ ان لاوون

(١) *Reg.* IX, 208.

(٢) *Mansi*, XIII, Col. 44; BAYNES, N.H., *Icons before Iconoclasm, Byzantine Studies and Other Essays*, London, 1955, 230-231.

(٣) ARCULFUS, *Itinera Hierosolymitana*, 200.

(٤) *Lettres du Patriarche Germain à Jean, Métropolite de Synnada, Patr. Gr.*, Vol. 98, Col. 156-161.

(٥) *Patr. Gr.*, Vol. 98, Col. 164-188; OSTROGORSKY, Q., *Les Débuts de la Querelle des Images*, 238.

الفسيلفس كان يبطن اي كرم للصور المقدسة . ويستدل ايضاً من الرسائل التي تبودلت بين لاوون الفسيلفس وبين البابا غريغوريوس الثاني قبل بدء التحطيم ان البابا ايضاً لم يلمس اي اعوجاج في عقيدة لاوون[1] . ولا تزال اختام لاوون الاولى تحمل صورة عذراء هوديغيتريا الايقونة الشهيرة[2] . فكيف أمسى هذا الفسيلفس المسيحي القويم الرأي في عرف البطريرك جرمانوس الاول والبابا غريغوريوس الثاني قبل السنة ٧٢٦ عدوًا لدودًا للايقونات بعدها؟وهل يُعزى ذلك الى اصله المرعشي ، الى احتكاك والديه بالمسلمين عند الحدود[3] ، او الى عطفه على بسر Beser واحتكاكه به بعد السنه ٧٢٣ ؟ وبسر هذا جندي نصراني أسره الامويون فدخل في الاسلام . ثم جرى تبادل الاسرى فعاد بسر الى بلاد الروم . ولا نعلم ما اذا كان عاد الى النصرانية ام لا . ولكن المراجع تشير الى اتصاله بلاوون في السنة ٧٢٣ او ٧٢٤ والى عطف الفسيلفس عليه وتقديره لقوته الجسدية وآرائه الدينية في موضوع الايقونات[4] .

لاوون والرهبان والدولة : وقد يكون موقف لاوون من الايقونات سياسياً ادارياً . فانتصار النصرانية على الوثنية كان قد تم واكتمل في القرن السادس . وكانت موجة الاسلام قد سلخت عن جسم الدولة كل من قال بالطبيعة الواحدة . وكان الفسيلفس قد أصبح حرًا طلقاً يقول بعقيدة يجمع عليها رعاياه . ولكن نفوذ الكنيسة كان قد تزايد في الاوساط الشعبية . فبهرت عظمة طقوسها العقول وحرّك وعظها الافئدة والصدور . وكان الشعب قد تعلق برهبان الكنيسة وعقد على صلواتهم وتضرعاتهم الآمال بالسعادة والنجاح . وكان الناس قد أقبلوا على الترهب زرافات زرافات . وكانوا قد رأوا في ارتداء الثوب افضل السبل الى خلاص النفس فتعددت الاديرة وحوت منها العاصمة وحدها عددًا عظيماً[5] .

---

(١) *Mansi*, XII, Col. 959.

(٢) Brehier, L., *La Querelle des Images*; Fliche et Martin, V, 448.

(٣) *Saint Etienne le Jeune, Patr. Gr.*, Vol. 100, Col. 1084; Denis de Tell-Mahre, (Chabot), 12. والقول ان لاوون تكلم العربية قول ضعيف لان صاحبه مؤلف كتاب العيون والحدائق مجهول ولان الكتاب نفسه لم يدون قبل النصف الثاني من القرن الحادي عشر !

(٤) Theophanes, *Chron.*, a. 6215; Brehier, L., Beser, *Dict. Hist. Geog. Ecc.*, VIII, Col. 1171-1172; Schenk K., *Kaiser Leons III Walten im Inneren*, *Byz. Zeit.*, 1896, 257-301; Starr, J., *An Iconodulic Legend and Its Hist. Basis*, *Speculum*, 1933, 500-503.

(٥) Marin, E., *Les Moines de Constantinople*, Paris, 1896.

وأدى ازدياد عدد الرهبان وتعاظم امرهم الى نقص في دخل الخزينة لان القانون اعفى الرهبان من دفع الضرائب كما منع جبايتها عن الاوقاف الكنسية . وتوافرت ثروة الرهبانيات وقوي نفوذها فأصبحت عنصراً سياسياً هاماً يتدخل فيعرقل سير السياسة ويعقد مشاكلها . ومن جرّاء الانسياق غير الواعي في موجة من التعبد الشديد ساد النفوس ضرب من القدرية القاتمة افضت بدورها الى فقدان النشاط والعزم والحزم وروح المبادرة ولا سيما ازاء الحوادث الكبرى[1] . ومن هنا قول المؤرخ الروسي اوسبنسكي ان السبب الحقيقي الذي دفع بلاوون وخلفائه الى خوض غمار حرب الايقونات انما كان خوفهم من ازدياد ثروة الرهبان وتزايد نفوذهم . فالمشادة في نظر اوسبنسكي كانت زمنية سياسية فجعلها الرهبان دينية ليوغروا صدور المؤمنين ويحضوهم على مقاومة برنامج الحكومة[2] . ويذهب المؤرخ اليوناني باباريغوبولو الى ابعد من هذا فيرى في كتابه تاريخ الحضارة اليونانية ان حرب الايقونات كانت في اساسها حرب اصلاح سياسي اجتماعي وان لاوون وخلفاءه ارادوا ان يحرروا التعليم والتربية من سيطرة الاكليروس وان العناصر المستنيرة المتحررة في الدولة وبعض كبار رجال الدين والجيش ايدوا هذه الحركة لانهم رأوا فيها اصلاحاً مفيداً[3] .

تمهيد وتليين : (٧٢٦) وبدأ لاوون بالدعاية . فحدّث كبار الشعب في موضوع الايقونات وحبّذ رفعها عن محلاتها وقبّح السجود لها واكرامها . وجاء في بعض المراجع انه كان يؤيد كلامه بالبراهين فاذا لمس اعتراضاً شديداً او امتعاضاً غيّر موضوع الكلام وانتقل الى بحث آخر[4] ! ثم زلزلت الارض وأُرجفت فظهرت جزيرة سانتورينو بين ثيرة وثيراسية من جزر الكيكلاذس في بحر ايجة . فاعتبر لاوون هذه الظاهرة الطبيعية انذارا من الله يوجب الرجوع اليه والابتعاد عن السجود للايقونات[5] .

ثم رغب لاوون في تعجيل الامور فأمر في السنة ٧٢٧ بانزال ايقونة السيد المخلص عن باب خالكي احد مداخل القصر المقدس . فاندلعت في الحال ثورة اشتركت فيها النساء اشتراكاً فعلياً . ومزقت الجماهير الموظف الذي نفذ ارادة الفسيلفس وقضوا ايضاً على ضباط

---

(١) Paparigopoulo, K., *Civilisation Hellénique*, 184; Diehl et Marcais, *Monde Oriental*, 228-231.

(٢) Usgensky, Th., *Byzantine Empire*, II, 22-53, 89-109, 157-174.

(٣) Paparigopoulo, K., *op. cit.*, 188-191.

(٤) *Vita Stephani Junioris, Patr. Gr.*, Vol. 100, Col. 1084; Theophanes, *Chron.*, a. 6217.

(٥) Theophanes, *Chron.*, a. 6218.

القصر الذين احاطوا بهذا الموظف. فتعددت الاعتقالات وكثر الجلد والتشويه وقضى البعض اياماً صعبة في المنفى[١] . وضجت الاوساط بما جرى وتناقلته الالسن وانتشر بريده فوصل الى رومة فكتب غريغوريوس الثاني الى لاوون رسالته الاولى[٢] وذكر الاحفاد هذا الحادث فيما بعد فأعجبوا بقدرة الايقونة ووصولها الى رومة سالمة عبر البحر واعتبروا بعض الضحايا شهداء قديسين[٣] . وفي هذه السنة عينها أفسد لاوون انتظام الجامعة في القسطنطينية[٤] . ولعله لم يرضَ عن موقف بعض الاساتذة من برنامجه الاصلاحي فعاملهم بالقساوة. ولا صحة فيما يظهر لما جاء بعدئذ في كتاب جاورجيوس الراهب عن ان لاوون احرق مكتبة الجامعة واساتذتها[٥] .

تمرد الجند : ونادى الجند في ثيمة الجزر الايجية[٦] بقوزمة فسيلفساً محتجين بذلك على موقف لاوون من الايقونات . وأقلعت سفنهم الى القسطنطينية فوصلت الى مياهها في الثامن عشر من نيسان سنة ٧٢٧ واصطدمت بسفن لاوون ففتكت النار الاغريقية بالسفن الثائرة وألقي القبض على بعض زعماء الحركة وسقط الباقون مجاهدين[٧] .

لاوون والبطريرك والبابا : وكان لاوون لا يزال يدعو الى رفع الايقونات دعاية سلمية . ولعله بدأ منذ السنة ٧٢٧ يفكر باصدار ارادة ملكية تحرم استعمال الايقونات في الكنائس فرأى ان يستميل البطريرك القسطنطيني وبابا رومة الى جانبه تحاشياً وتفادياً . فاستدعى جرمانوس الاول وفاجأه بالقول ان جميع الاباطرة والبطاركة السابقين ضلوا بسجودهم للايقونات[٨] . وكتب الى البابا غريغوريوس الثاني يحضه على الغاء استعمال الايقونات وعلى تحريمها واعداً بالعطف والمساعدة ومهدداً بالخلع في حال الامتناع. فاشمأز غريغوريوس

---

(١) Theophanes, *Chron.*, a. 6218; *Vita Stephani Junioris, P. G.*, Vol. 100, Col. 1085.

(٢) Greg. Pap. Epist., *Mansi*, XII, Col. 959.

(٣) *Actes des Martyrs de Constantinople*; Ebersolt, J., *Sanctuaires de Byzance*, 19-20.

(٤) Theophanes, *Chron.*, a. 6221.

(٥) Georges le Moine, (de Boor), II, 742; Fuchs, *Hohern Schulen von Konstantinopol, Byz. Arch.*, 1926, 9-13; Brehier, L., *Légende de Léon Incendiaire de l'Univ. de Const., Byzantion*, 1927, 13-28.

(٦) *Thème des Helladiques et des Cyclades*; Dvornik, C., *Les Légendes de Constantin et de Méthode*, Prague, 1933, 4-6.

(٧) Theophanes, *Chron.*, a. 6218; *Nicephore, Breviarum*, 57-58.

(٨) Theophanes, *Chron.*, a. 6218.

وكتب الى جميع الجهات منددًا بعصية لاوون والحاده موجباً التيقظ والتحفز[1] .

وقد أثبت العلامة جورج اوستروغورسكي الاستاذ في جامعة بلغراد صحة هذه الرسائل التي تعزى الى غريغوريوس الثاني بعد ان اعتبرها بعض العلماء مزورة[2] . فيصح والحالة هذه الرجوع اليها والوقوف على مضمونها لتفهم موقف لاوون من الايقونات .

ويستدل من المقاطع التي استشهد بها غريغوريوس ورد عليها في هذه الرسائل ان لاوون اراد ان يقتفي اثر حزقيا بن آحاز ملك يهوذا الذي صنع القويم في عيني الرب « فأزال المشارف وحطم الأنصاب وسحق حية النحاس التي كان موسى صنعها لان بني اسرائيل كانوا الى تلك الايام يُقَتِّرون لها وسموها نَحُشْتَان »[3] .

ويستدل من هذه الرسائل ايضاً ان لاوون اعتبر نفسه كاهناً وامبراطورًا . فأجاب البابا مؤاخذًا الفسيلفس على استئثاره بالسلطة في هذه الامور وعلى عدم اتصاله مسبقاً بالسلطات المختصة . واضاف ان التحريم جاء لردع اليهود عن عبادة الاوثان . امـا النصارى فانهم لا يعبدون الصور[4] .

وهاج الايطاليون بين أنكونة والبندقية ورفعوا لواء العصيان وبايعوا زعماء لهم وكادوا ينادون بامبراطور غير لاوون لولا تدخل غريغوريوس في الأمر ونهيه[5] . ومما زاد في الطين بلة ان الايطاليين كانوا قد استثقلوا ضرائب لاوون فلما أطل عليهم بسياسته الدينية الجديدة ازدادوا غضباً ونقمة . وظلّ غريغوريوس موالياً رادعاً . ولا عبرة بما جاء في كتاب المؤرخ الالماني كسبار عن نعرة غريغوريوس القومية الايطالية[6] .

وعاد لاوون الى جرمانوس الاول فحاول اجتذابه باللطف والملاينة والمالقة ولكن البطريرك أصرّ على موقفه وأوجب ابقاء الايقونات في الكنائس وتكريمها وادلى بحججه .

---

(١) *Liber Pontificalis* (*Duchesne*), I, 404; Theophanes, *Chron.*, a. 6221.

(٢) Ostrogorsky, G., *Les Débuts de la Querelle des Images*, Mélanges Diehl, 1930, I, 244-254.

(٣) سفر الملوك الرابع ١٨ : ١–٥

(٤) Menges, H., *Die Bilderlehre des hl. Johannes von Damaskus*, 1938, 33; Dolger, F., *Byz. Zeit.*, 1931, 458 ff.; Haller, J., *Das Papsttum*, I, 328, 502.

(٥) *Liber Pontificalis* (*Duchesne*), I, 404-409.

(٦) Ostrogorsky, G., *The Byz. State*, 145, n. 1; gaspar, E., *Papst Gregor II und der Bilderstreit*, *Zeit. fur Kirchengeschichte*, 1933, 29-89.

وأصغى الى حجج البطريرك وسكت عنها فظن جرمانوس الذي كان يصدق كل شيء انه أقنع الفسيلفس بوجوب ابقاء القديم على قدمه . وكتب الى غريغوريوس بذلك في اواخر السنة ٧٢٩[1] .

الارادة السنية : (٧٣٠) وسلم لاوون المفاوضة والاقناع والدعاية والملاطفة . فدعا في السابع عشر من كانون الثاني سنة ٧٣٠ المجلس الاستشاري الامبراطوري اي السيلانتيون Silention الى الانعقاد في قاعة التسعة عشر سريرًا في قصر دفنة . فضم المجلس كبار الموظفين الاداريين في العاصمة وكبار الشيوخ[2] . وجلس في كرسي الرئاسة لاوون نفسه . ومثل امام الامبراطور الفسيلفس البطريرك القسطنطيني جرمانوس الاول . وتلي نص ارادة ملكية سنية تحرم احترام الايقونات واكرامها[3] . وطلب الى جرمانوس ان يوقع هذا التحريم . فأبى البطريرك ووضع الاموفوريون عن عاتقه وصاح بالمجلس : « انا يونان اطرحوني في البحر ! وليس لي اي ايمان آخر سوى ذاك الذي اقره المجمع المسكوني ! » وخرج البطريرك وذهب توًا الى البيت الذي وُلد فيه ومـا زال حتى وفاته[4] . ويلاحظ هنا ان العلامة الافرنسي لويس براهيه يؤثر القول ببيان بطريركي لا ارادة سنية . فهو يرى انه لو كان لاوون اصدر ارادة بالتحريم لامتنع ابنه قسطنطين الخامس عن اصدار ارادته فيما بعد . ولكنه لا يصرّ على هذا الرأي[5] .

وشغر المنصب البطريركي شغورًا فاعتلاه انسطاسيوس السنكلوس باسم انسطاسيوس الاول (٧٣٠—٧٥٢) وذلك في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ٧٣٠[6] . وفي هـذا الحدث ما يثير التفكير في ان لاوون كان قد نجح في استمالة عدد كبير من اساقفة المجمع ولا سيما وان هذا المجمع اتخذ فورًا قرارًا بتحريم الايقونات وان غريغوريوس بابا رومة احتج على عمل هذا المجمع وهدد انسطاسيوس بعدم الاعتراف به اخاً له في الشركة[7] .

(١) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221; *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1084-1085; *Mansi*, XIII, Col. 92-100.

(٢) CHRISTOPHILOPOULO, E., *Silention, Byz. Zeit.*, 1951, 79 ff.

(٣) OSTROGORSKY, G., *Mélanges Diehl*, I, 254.

(٤) *Nicephore, Breviarum*, 58.

(٥) BREHIER, L., *Querelle des Images*; FLICHE et MARTIN, V, 454, n. 3.

(٦) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221; *Nicephore, Breviarum*, 58; *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1085.

(٧) *Liber Pontificalis*, (*Duchesne*), I, 408-409: « non censuit fratrem aut consacerdotem ».

اضطهادات لاوون : وتتوافق المراجع على اتخاذ اجراءات منظمة في حق من عارض التحريم منذ وصول انسطاسيوس الى الكرسي القسطنطيني[1]. ولكنها تختلف في التفصيل. فنيقيفوروس يذكر التنكيل والتعذيب الذي حلّ بالمؤمنين الحسني العبادة. ورسائل رومة تشير الى التشويه وقطع الرؤوس. وثيوفانس يؤكد ان عدداً كبيراً من الاكليروس والشعب والراهبات نالوا اكليل الظفر. وتضيف رسائل رومة انه توجب على كل من اقتنى ايقونة ان يحملها الى باحة من باحات العاصمة لاحراقها. ويؤكد صاحب حياة القديس اسطفانوس ان كثيرين هجروا القسطنطينية وان والدي اسطفانوس قاما الى خلقيدونية ومنها الى جبل القديس اوكسنذيوس لايفاء النذر[2].

وفي هذه الظروف عينها هبَّ يوحنا الدمشقي يشارك ابناء الكنيسة في الدفاع عن الايقونات بخطب ثلاث شرح فيها معتقد الكنيسة الجامعة ودعم تعاليمها ببراهين قاطعة وبلغة بليغة وقلم سيال. فراع لاوون ما رآه من ظهور هذا الخصم الجديد ولا سيما وان يده لا تستطيع ان تناله بسوء. فحصّل كتابة من خط يوحنا وزوّر على لسانه رسالة كأنها مكتوبة منه ومرسلة الى الفسيلفس يشرح فيها حالة النصارى السيئة ويبين مواطن الضعف في الدولة الاموية ويستحث الفسيلفس على استعادة سورية ويعده بالمساعدة. وخطب لاوون ودّ عمر بن عبد العزيز ثم أطلعه على «خيانة» يوحنا. فاستشاط عمر غضباً وأمر بقطع يد يوحنا[3].

«وعاد يوحنا الى بيته يجر اذيال العار والدم يقطر من يده البريئة الطاهرة. وجاء وانطرح امام ايقونة البتول واخذ يكلمها بلهجة العاتب المحب ويقول: كيف سمحت يا سيدتي بان يقع في هوة الذل السحيقة ولدك هذا الذي انما دافع عن عبادتك وعن ايقوناتك ويفقد يده النقية ويخسر مقامه الرفيع! وبكى كثيراً وصلى وتضرع. وأخذه النعاس فنام. فتراءت له البتول وشجعته وطيبت قلبه واقتربت اليه واعادت اليه يده المقطوعة صحيحة مثل الاخرى. وذهب يوحنا الى الخليفة وأراه يده كاملة. فدهش الخليفة وسأل يوحنا عن الخبر. فقصّ عليه ما جرى وكيف ان لاوون اراد الانتقام فلجأ الى التزوير وكيف ان البتول مريم نظرت

---

(١) *Nicephore, Breviarum*, 59; THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221; *Liber Pontificalis*, I, 409

(٢) *Vita Stephani Junioris, P.G.*, Vol. 100, Col. 1088.

(٣) *Patr. Gr.*, Vol. 94, Col. 1232-1284, 1284-1318, 1317-1420.

الى صدقه واخلاصه فاعادت اليه يده . فسُرَّ الخليفة سرورًا لا يوصف وامر ان يعود يوحنا الى ديوانه والى مكانته »[١] — سنكسار عساف .

رومة تستنكر وتقاوم : وتوفي البابا غريغوريوس الثاني في الحادي عشر من شباط سنة ٧٣١ وخلفه على السدة الرومانية غريغوريوس الثالث في الثامن عشر من اذار من السنة نفسها . فأوفد هذا الحبر الجديد الكاهن جاورجيوس الى القسطنطينية ولكنه لم يجرؤ على تقديم الرسالة البابوية فعاد الى رومة دون انجاز مهمته . فعاقبه البابا ورده الى القسطنطينية مرة ثانية . ولكنه مُنع عن متابعة السير بأمر من الفسيلفس وحجز في صقلية فانقطعت العلاقات بين رومة والقسطنطينية[٢] .

وكان غريغوريوس الثالث قد دعا الى مجمع محلي في رومة في اول تشرين الثاني من السنة ٧٣١ . فأم العاصمة الاولى ثلاثة وتسعون اسقفاً ايطاليًا . وتداولوا في أمر الايقونات فاتخذوا قرارًا قضى بقطع كل من خالف تقليد الكنيسة وعارض في احترام الايقونات المقدسة او حقرها او حطّمها . وانفض المجمع عند نهاية السنة ٧٣١[٣] . وأنفذ غريغوريوس هذه المرة المحامي بطرس الى القسطنطينية وحمّله رسالتين واحدة الى لاوون والثانية الى انسطاسيوس وفيها نبأ قرارات المجمع المحلي الايطالي بشأن الايقونات[٤] .

لاوون يضيق مدى سلطة البابا : واغتاظ لاوون وتنمّر فأنفذ قوة عبر الادرياتيك لفرض سلطته ورأيه ولكن عاصفة هوجاء حطمت بعض سفنها وشتت الباقي . فزاد الفسيلفس ضريبة العنق المفروضة في ثيمتي كلابرية وصقلية بمقدار ثلثها[٥] وسلخ عن بطريركية رومة ابرشيات كريت وصقلية وسردينية وكلابرية وابيروس والليرية وضمها الى بطريركية القسطنطينية[٦] . ويلاحظ هنا ان باسيليوس الارمني ينص ان هذه الابرشيات

(١) Jean de Jerusalem, *Acta Sanctorum*, II, Mai, 109-118; Le Quien, *Joannis Damascen. Opera*; *P.G.*, Vol. 94, Col. 429-490.

(٢) *Liber Pontificalis* (*Duchesne*), I, 415-416.

(٣) *Liber Pontificalis* (*Duchesne*), I, 416; *Mansi*, XII, Col. 299 ff.

(٤) *Liber Pontificalis* (*Duchesne*), I, 416-417.

(٥) Theophanes, *Chron.*, a. 6224; Dolger, F., *Reg.* 300.

(٦) Dolger, F., *Reg.*, 301; *Mansi*, XIII, Col. 808, XV, Col. 167.

سلخت عن كنيسة رومة عندما دخل البابا في حكم البرابرة[١] . ويرى العلامة غي انها سلخت في عهد قسطنطين الخامس[٢] .

قسطنطين الخامس : (٧٤٠—٧٧٥) وتوفي لاوون في حزيران السنة ٧٤٠ فتولى الحكم بعده ابنه قسطنطين الخامس. وهو الذي اطلق عليه لقب الزبلي Copronymos اما لانه أفرز في جرن العماد او لانه كان يحب الخيل. وعرف ايضاً بلقب Caballinos لشدة عنايته بالخيل وتعلقه بها[٣] . وورث قسطنطين عن والده نشاطاً نادرًا ومقدرة عظيمة في الادارة والحرب . ولكنه غالى في نظرياته الدينية وسخَّر سلطته الزمنيـة لتطبيق هذه النظريات .

وما كاد قسطنطين يستوي على عرشه حتى ترعم صهره آرتافن دوس العناصر الصاخبة في الولايات الاوربية وزحف على العاصمة فحطم القوة التي قادها بسرٍّ ضده وأعلن نفسه فسيلفساً وتسلم التاج من يد البطريرك انسطاسيوس واعاد الايقونات الى سابق عزها وكرامتها[٤] .

وكان قسطنطين قد لجأ الى ولايات آسية الى موطن حركة التحطيم فاعتصم في العمورية . فجدَّ قسطنطين في اثره حتى بلغ سهل الكايستروس Caystros بالقرب من ساردس فأوقع بصهره هزيمة ماحقة واضطره الى الفرار شمالًا . وما فتئ يطارده حتى كيزيكة . وعبر ارتافن دوس البحر الى القسطنطينية . ثم أنفذ جيشين آخرين الى آسية ولكن قسطنطين تمكن من التغلب عليها. وفي السنة ٧٤٢ قام قسطنطين بدوره على رأس جيش الى اوروبة وحصر صهره في القسطنطينية . وقلَّ القوت في العاصمة فاستسلمت في الثاني من تشرين الثاني من السنة٧٤٢ نفسها . وفرَّ آرتافزدوس الى آسية فألقي القبض عليه وسملت عيناه واعين اولاده . واحتفل قسطنطين بالنصر في ميدان الهيبوذروم فاستعرض آرتافن دوس واولاده مكبلين بالحديد والبطريرك انسطاسيوس راكباً حمارًا مواجهاً ذيله[٥] .

---

(١) Parthey, *Hieroclis Synecdemus*, 74.

(٢) Gay, J., *l'Italie Méridionale et l'Empire Byzantin*, 8, 11-12.

(٣) Theophanes, *Chron.*, a. 6211; Lombard, A., *Ztudes d'Hist. Byz.*, 10-21.

(٤) Theophanes, *Chron.*, a. 6233.

(٥) *Ibid.*, a. 6234; *Nicephore*, *Breviarum*, 61-62; *Antirrheticus*, *P.G.*, Vol. 100, Col. 500.

قسطنطين وبابا رومة : وتوفي غريغوريوس الثالث بابا رومة في العاشر من كانون الاول سنة ٧٤١ فتولى السدة الرسولية بعده زخريا (٧٤١—٧٥٢) . وطبق هذا البابا العرف الكنسي فأوفد ابوكريساريين الى القسطنطينية حاملين اوراق انتخابه . وكان ارتافزدوس قد تسنم العرش فتريث الوفد الروماني ولم يقدم اوراقه حتى استتبّ الامر لقسطنطين[1] . وقضت ظروف ايطالية السياسية بالتعاون بين البابا والفسيلفس فاعتبر زخريا ارتافزدوس ثائراً مغتصباً واستوسط الفسيلفسُ قسطنطينُ البابا في علاقاته مع اللومبارديين . ثم وهب الفسيلفسُ الكنيسة الرومانية الاملاك الاميرية في نمفية ونورمية[2] . وتوفي زخريا في السنة ٧٥٢ وأطل الافرنج على ايطاليــة ورضي قسطنطين عن تدخلهم في شؤونها فارتبطت كنيسة رومة بهؤلاء ومالت عن الفسالسة ثم حالت عن ممالقتهم والخضوع لهم[3] .

قسطنطين يمنع ويردع : (٧٤٢—٧٥٤) ونهى قسطنطين عن اكرام الايقونات متبعاً في ذلك سياسة والده . وباحث وجادل وردع ولكنه لم يقدم في السنوات العشر الاولى من حكمه على اي عمل بارز في الاساءة الى الايقونات . فقد جاء في سيرة القديس اسطفانوس ان عمّال قسطنطين واتباعه بيّضوا بالكلس ، في هذه الآونة ، جميع الصور المقدسة التي كانت تزين جدران المعابد وابقوا على ما لم يكن له علاقة بالدين منها . وكانت جدران بعض الكنائس القديمة لا تزال مزينة بمشاهد علمانية غير دينيــة كصيد الحيوانات واظهار غرائبها الحقيقية والخرافية وسباقات الخيل وما شاكل ذلك[4] .

وجاء في هذه السيرة نفسها ايضاً ان القديس اسطفانوس الذي كان قد أصبح رئيس دير القديس اوكسنديوس كان في هذه الآونة يخطب في الرهبــان المجتمعين حوله في موضوع الايقونات فيعزو ما حلّ بها من ضيم الى اليهود والسوريين ويحض الرهبان على المقاومة دون ان يذكر اسم الفسيلفس[5] . ومما تفيده هذه السيرة ان القديس اسطفانوس الذي ألقى خطبه هذه في السنة ٧٥٣ كان ينصح الرهبــان المعارضين ان ينزحوا الى القرم والخرسون وسائر

---

(١) *Liber Pontificalis (Duchesne)*, I, 432.

(٢) *Ibid.*, I, 426-427, 433; Diehl, C., *Exharchat de Ravenne*, 415-416; Dolger, F., *Reg.* 310.

(٣) Brehier, L., *Querelles des Images*; Fliche et Martin, V, 462.

(٤) *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1112-1113; *Sancti Nili Epist.*, Vol. 79, Col. 577; Brehier, L., *Art Chrétien*, 58-60.

(٥) *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1112-1117.

انحاء البحر الاسود والى ايطالية وروما والى جزيرة قبرص وشاطئ لبنان والخليج الفارسي. ويستدل من هذا المرجع ايضاً ان بابا رومة وبابا الاسكندرية وبطريرك انطاكية وضعوا الفسيلفس تحت الحرم[١] .

وأشهر ما يروى عن اساليب قسطنطين السلمية المحاورة التي دارت في حوالي السنة ٧٥٣ بين قوزمة اسقف مرعش وبين جاورجيوس الراهب الناسك في جبل الزيتون في قيليقية . وكان قوزمة من عمال قسطنطين يدعو الى عبادة الله بالروح فقط . والحّ المؤمنون على جاورجيوس بتدوين ردوده على قوزمة فأمر تلميذه ثيوسيبس بذلك فخلف النونثيزية وهي « نصح الشيخ الجليل في موضوع الايقونات المقدسة» . وقد جاء في هذا الدفاع ان الايقونات من انشاء المسيح نفسه وان القول ان الكنيسة تعبد الاصنام يجر الى القول ان المسيح نفسه انشأ الاصنام . وتذرع قوزمة بما جاء في العهد القديم ضد الايقونات فاجابه جاورجيوس بأن التجسد الالهي ابطل الوصية الثانية وما ماثلها[٢] . وألقي القبض على جاورجيوس ومثل امام الفسيلفس ففر تلميذه ثيوسيبس الى سورية .

(١) *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1112-1114; Vasiliev, A., *The Goths in the Crimea*, 88.

(٢) *Nonthesia*: *Melioranski*, B.M., Georgii Kiprianin *i Ioann Ierusalimlianin*, Rev. by Kurtz, Ed., Byz. Zeit., 1902, 538-542.

الفصل الثالث

تحريم الايقونات وابطالها

٧٥٤ - ٧٧٥

التحريم: وما نعلمه عن موقف المحرمين مأخوذ من اقوال المحللين من اقوال يوحنا الدمشقي والبطريرك نيقيفوروس وآباء المجمع المسكوني السابع . ولم يتفق الآباء المحرمون على موقف واحد ولم يحرموا شيئاً باجماع الكلمة . فالمعتدلون منهم أبقوا على ايقونة السيد المسيح في الكنائس وغيرها شرط ان تبقى عالية بعيدة المنال وشرط ألا يُسجَد لها . ولكن معظم المحرمين حرّموا كل تصوير مقدس واوجبوا تحطيمه .

واحتج المحرّمون على المحلّلين بنصوص الاسفار واقوال الآباء . وأهم النصوص التي تذرعوا بها الوصية الثانية : « لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الارض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الارض »[1] وآية التثنية : « لئلا تفسدوا وتعملوا لكم تمثالاً منحوتاً على شكل صورة ما من ذكر او انثى او شكل شيء من البهائم التي على الارض او شكل طائر ذي جناح مما يطير في السماء او شكل شيء مما يدبّ على الارض او شيء من السمك مما في الماء تحت الارض » . والآية بعدها : « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما »[2] . وردّد المحرمون مرارًا بما جاء في المزمور المئة والثالث عشر : « اما اوثانهم ففضة وذهب صنع ايدي البشر . لها أفواه ولا تتكلم . لها عيون ولا تبصر . لها

---

١) سفر الخروج ٢٠ : ٤

٢) سفر التثنية ٤ : ١٦ - ١٩ و ٥ : ٧ - ٨

آذان ولا تسمع . لها انوف ولا تشم . لها ايد ولا تلمس . لها ارجل ولا تمشي ولا تصوّت بحناجرها . مثلها ليكن صانعوها وجميع المتكلين عليها ». واستشهدوا ايضاً بما جاء في نبوة ارميا : « فان واحداً يقطع شجرة من الغابة فتنحتها يد النجار بالقدوم . ثم تزيّن بالفضة والذهب وتوثّق بالمسامير والمطارق لئلا تتحرك . فلا تخافوا من مثل هذه فانها لا تسيء ولا في وسعها ايضاً ان تُحسن »[1]. نقول احتجّ المحرّمون بهذه النصوص مراراً وتكراراً ولكنهم لم يبرروا ولم يحسّوا امر موقفهم من الصور والتماثيل غير الدينية. ثم احتجوا بقول السيد: « ولكن تأتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين له لان الله روح والذين يسجدون له فالروح والحق ينبغي ان يسجدوا »[2]. ووجدوا في كلام بولس في محفل اريوس باغوس بينة على صحة التحريم. فقد قال بولس في أثينة : « فاذا كنا نحن ذرية الله فلا ينبغي ان نحسب اللاهوت شبيهاً بالذهب او الفضة او الحجر او سائر ما ينقش بصناعة الانسان واختراعه »[3] . واشاروا الى ما قاله هذا الرسول نفسه الى اهل غلاطية فحسبوه دليلاً آخر على التحريم : « اما انا فحاشى لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صُلب العالم لي وأنا صلبت للعالم »[4] .

واستعان المحرمون بالادب الابوقريفي وباقوال بعض الآباء لاثبات رأيهم فأكدوا ان يوحنا الحبيب لام احد تلاميذه لانه صوّره[5] . وقد جمع العلامة الالماني شفارلوسي اقوال الآباء التي رجع اليها المحرمون في جدلهم مع المحللين. فالتراجع في محلها[6] . وأمعنوا في التيه فغيّروا وبدلوا بعض نصوص الآباء ليناضلوا ويدافعوا . فجعلوا القديس نيلوس ينصح اوليمبيوذوروس ان يكتفي باقامة صليب في حنية الكنيسة التي انشأ وان يطلي بالكلس جميع جدرانها . والواقع ان نيلوس نصح اوليمبيوذوروس ان يقيم صليباً في الحنية وان يزين الجدران بمشاهد من النصوص المقدسة[7]. وبالغوا في اهمية مجموعة من الرسائل التي نهت عن اكرام الايقونات ونسبوها الى القديس ابيفانيوس اسقف سلابينة قبرص (٣٦٧—٤٠٣) ثم

(١) نبوة ارميا ١٠ : ٣-٦

(٢) انجيل يوحنا ٤ : ٢٣-٢٥

(٣) اعمال الرسل ١٧ : ٢٩

(٤) رسالة بولس الى اهل غلاطية ٦ : ١٤

(٥) *Mansi*, XIII, Col. 169.

(٦) SCHWARLOSE, K., *Der Bilderstreit*, 84-86.

(٧) MILLET, G., *Les Iconoclastes et la Croix. A propos d'une Inscription de Cappadoce*, Bull. Corr. Hell., 1910, 99.

ظهر فيما بعد ان هذه الرسائل مزورة تزويراً[١]. ولا عبرة لما جاءَ في تأييد صحتها بقلم العلامة كارل هول الالماني لانه تطرف في الاجتهاد فجاءَت استنتاجاته ضعيفة غير مقبولة[٢].

وناقش المحرمون وناظروا من طريق اللاهوت فاعتبروا المحللين خارجين على قرارات المجامع المسكونية واقعين في الهرطقة. وتلخص حججهم في هذا الميدان هكذا: لا يمكن تصوير اللاهوت بالمادة بما هو زائل وسفلي. واذا كان لا يمكن تصوير الله بالمادة فانه لا يمكن تصوير المسيح بالمادة لانه صورة الآب. والاشارة هنا الى الآية التاسعة من الفصل الرابع عشر من انجيل يوحنا: «من رآني فقد رأى الآب». فاذا ما صورناه فانما نصور ناسوته ولاهوته في آنٍ واحد فنخلط الناسوت باللاهوت ونقع في ضلالة نسطوريوس. وصورة المسيح الوحيدة هي جسمه ودمه في الافخاريستية[٣].

المحرمون والصليب: ووقّر المحرمون الصليب وعظّموه تعظيماً. وجرّدوه من كل رسم عليه وسجدوا وتعبدوا. وأقاموه في حنايا الكنائس ونقشوه في سقوفها وصنعوه من المعدن وكتبوا عليه الآيات وحفظوه في الكنائس والمتاحف. وظهر على مسكوكاتهم قائماً فوق درجات معينة وحفروه في اختامهم[٤]. وآثروا شكل صليب قسطنطين في الفوروم صليب انتصاره فأصبح شعار النصر والسلطة[٥].

اجتهاد قسطنطين وخروجه: ويرى العلماء الباحثون ان قسطنطين الخامس نفسه اجتهد في موضوع الايقونات وصنّف. وجاءَ في سيرة نيقيطاس لرئيس دير المذيكيون (اوليمبوس) ان قسطنطين اعد خطباً للدعاية تضمنت آراءَه في تحريم الايقونات[٦]. ولكن العلماء رجال الاختصاص، وفي طليعتهم اوستروغورسكي الاستاذ في جامعة بلغراد، يرون ان قسطنطين قمّش ونقّب وبحث بالتعاون مع بعض الاساقفة فأطل على مجمع هيرية في

(١) Ostrogorsky, G., *Studien zur Gesch. des Byz. Bilderstreites*, 67-69; *Die PseudoEp-i-phanischen Schriften*, 47-61.

(٢) Holl, K., *Die Schrifte des Epiphanius, Gesammelte Aufsatze zur Kirchengeschichte*; Brehier, L., *Querelle des Images*, *op. cit.*, V, 465-466.

(٣) Brehier, L., *op. cit.*, 466.

(٤) Millet, G., *Les Iconoclastes et la Croix*, Bull. Corr. Hell., 1910, 96-109; Grabar, A., *L'Empereur dans l'Art Byzantin*, Paris, 1936; Ebersolt, J., *Sceaux Byzantins*, Rev. Numismatique, 1914, 139; Jerphanion, G., *Eglises Rupestres de Cappadoce*, II, 154-158.

(٥) Grabar, A., *Théologie de la Victoire Impériale*, Rev. Hist., 1933; *Victoire Impériale dans l'Empire Chrétien*, Rev. Hist. Philol. Rel., 1933.

(٦) *Acta Sanctorum*, Aprilis, 18-27.

السنة ٧٥٤ بثلاث عشر رسالة في وجوب التحريم كان لها اثر بليغ في نفوس الاساقفة اعضاء هذا المجمع[١] . ونهج قسطنطين في معالجة موضوعه نهجاً خريستولوجياً خصوصياً فجعل من تحريم الايقونات مشكلة عقائدية من الطراز الاول .

ولا يفهم موقف قسطنطين فهماً علمياً كاملًا الا على ضوء اقوال الآباء قبله . فاقليمس الاسكندري († ٢١٥) فرّق بين الحقيقة والفن . وقال ان الحقيقة لا تنفصل عن المعقول. وبالتالي فمن يعبد المصنوع من المادة يُحط من قدر جوهر الله المعقول . وصورة الله بيننا هي النفس الطاهرة الصالحة[٢] . ولام كلسوس الفيلسوف الوثني النصارى في اعراضهم عن التماثيل والصور . فانبرى اوريجانس الاسكندري (٢٥٤†) يقول في الرد: إن تماثيلنا وعطايانا ليست من صنع الصناع الغشماء وانما هي فينا من صنع كلمة الله . هي الفضائل صورة « بكر كل خلق » منبع العدل والفطنة والشجاعة والحكمة . . . وفي داخل كل من يتشبه به في هذه الامور تمثال « على صورة الخالق » يقام بتأمل الله والاقتداء به بقلب نقي . وقصارى القول ان جميع المسيحيين يحاولون انشاء مثل هذه المذابح والتماثيل ، لا تلك التي لا حياة لها ولا احساس ، متكلين عليه الذي هو على صورة الخالق . وهكذا فان روح المسيح يحل على اولئك الذين يصبحون « مشابهين لصورته »[٣] .

هذا كلام عالم النصرانية العظيم في القرن الثالث . وأثر بولس ظاهر فيه ولا سيما في العبارات « بكر كل خلق » (كولوسي ١:١٥) و « على صورة الخالق » (كولوسي ٣: ١) و « مشابهين لصورته » (افسس ٥ : ١) وشارك مثوديوس اوليمبوس وارنوبيوس واستيريوس اماسية[٤] اوريجانس في هذا فرأوا في الانسان الصالح الفاضل صورة الخالق الحقيقية وقالوا مع بولس في الفصل الثالث من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس : « أما تعلمون انكم هيكل الله وان روح الله مستقر فيكم » .

وفي اوائل القرن الرابع كتبت قسطندية اخت قسطنطين الكبير وزوجة ليكينيوس شريكه في الحكم الى افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين ومؤرخ الكنيسة الاول تطلب منه صورة السيد المسيح. فأجابها هذا الاسقف انه للسيد رسمين morphai احدهما الهي والآخر بشري. واضاف ان الرسم الالهي لا يعلمه الا الآب وبالتالي فانه لا يمكن تصويره. اما الرسم

(١) Ostrogorsky, G., *The Byz. State*, 152-153; *Bilderstreit*, 8 ff.

(٢) Clement of Alexandria, *Stromata* I, VI,. 5

(٣) Origenes, *Contra Celsum*, VIII, 17-19.

(٤) Asterius of Amasea, *De Divite et Lazare*, *Patr. Gr.*, Vol. 90, Col. 168.

البشري فانه امتزج بالمجد الالهي فابتُلع ابتلاعاً. وبعد ان شجب استعمال الصور في الاوساط المسيحية المهرطقة خلص افسابيوس الى القول : « وفي نظرنا نحن فان هذه العادات محرمة . نحن نعترف ان السيد المخلص هو الله ونسعى لرؤيته بتطهير قلوبنا بكل نشاط لنتمكن من مشاهدته بعد الوصول الى هذه الطهارة لانه « طوبى لانقياء القلوب فانهم يعاينون الله ». واذا كنتم انتم المسرفين تحترمون صور مخلصنا قبل ان تتمكنوا من مشاهدته وجهاً لوجه فأفضل المصورين كلمة الله نفسها »[1] . وهكذا فان افسابيوس وافق اوريجانس فربط قضية تصوير المخلص بالعقيدة اللاهوتية وآثر النص المكتوب على الصورة المرسومة .

ثم كان ما كان من أمر الطبيعة الواحدة والطبيعتين والمشيئة الواحدة والمشيئتين وتقديم الطبيعة الالهية والمشيئة الالهية على الطبيعة البشرية والمشيئة البشرية في المسيح فمال بعض من قال بهذا التقديم الى تحريم تصوير الاله « غير المنظور » . وكان في طليعة هؤلاء فيلوكسينس اسقف ممبج († ٥٢٣) وصديق سويروس الانطاكي وحليفه. فانه اعترض على تصوير المسيح والملائكة والروح القدس (بهيئة حمامة)[2] . وأدى استمساك الكنيسة الجامعة بالطبيعتين والمشيئتين الى القول بتصوير المسيح الانسان لانه يرمز الى التجسد ميزة الدين الجديد .

وفي السنة ٦٩٢ جلس الآباء في القسطنطينية في المجمع البنذيكتي للاشتراع فقالوا في القانون الثاني والثمانين : « يظهر الحمل في بعض الايقونات الموقرة مشاراً اليه باصبع السابق متخذاً رسماً للنعمة . وفي ذلك توقع لمجيء الحمل الحقيقي المسيح الهنا . ونحن نعترف بان الرسوم القديمة والرموز المسلمة في الكنيسة هي نماذج الحقيقة ومثلها وبانها تكمل الناموس وتتمه. ولكن لكي يظهر الكمال للشعب كله ويتبين حتى في الصور فاننا نرتب منذ الآن ان يوضع شكل ناسوت المسيح الهنا الحمل الذي رفع خطايا العالم نصب الاعين بدلًا من الحمل القديم . فاننا ندرك بذلك سمو تواضع الاله الكلمة ونذكر حياته في الجسد وآلامه وموته الخلاصي وما تأتى عن ذلك من افتداء للعالم »[3] .

وجاء يوحنا الدمشقي († ٧٤٩) ففرق بين الاصنام والايقونات ثم أبان ان الله خص اليهود وحدهم في تحريم السجود للاصنام لانهم كانوا عرضة للارتداد . اما المسيحيون فانهم بعد ان لمسوا التجسد الالهي لمساً اصبحوا في مأمن من الضلال لان غير المنظور صار منظوراً :

(١) *Patr. Gr.*, Vol. 20, Col. 1545-1550; Florovsky, G., *Origen, Eusebius and the Iconoclastic Controversy*, Church History, 1950, 77-96.

(٢) Dobschutz, Ernest von, *Christusbilder, Untersuchengen zur Christlichen Legende*, 33;. Ostrogorsky, G., *Studien*, 24-28; Tisserant, E., *Philoxenus*, *Dic. Th. Cath.*, XII, 1509-1532

(٣) *Mansi*, XI, Col. 977-980.

« واعبد مع الملك الاله ارجوان الجسد، لا كوشاح ولا كاقنوم رابع، وانما كمظهر للاله... وهكذا فاني اصور الاله غير المنظور لا كاله غير منظور وانما كاله صار منظوراً لاجلنا »[١]. ولا يخفى ان يوحنا اشار بالتعبيرين « الوشاح والاقنوم الرابع » الى هرطقتي اليعاقبة والنساطرة.

وأحب قسطنطين الخامس ان يجادل المحللين ويناقشهم على مستوى أئمتهم فاتجه في تفكيره، فيما يظهر، اتجاه ابوليناريوس اللاذقي في نزاعه مع من قال بالطبيعتين. والاشارة هنا الى ما جاء في كتاب الانكفاليوسيس Anacephalaeosis حيث قال ابوليناريوس: « وهل نعبد ايضاً ناسوت المسيح او لا؟ فاذا كنا لا نعبده فلماذا نقول ان الناسوت اتحد باللاهوت ولماذا نعتمد بموته؟ واذا كنا نعبد الانسان كما نعبد الله فنكون قد ألحدنا في مساواة الخالق بالمخلوق »[٢]. وبعبارة اخرى فان ابوليناريوس احتج على اخصامه بالقول ان الاعتراف بالطبيعتين على طريقتهم يؤدي اما الى عدم اتحاد الطبيعتين او الى عبادة طبيعة المسيح البشرية. وكان يوحنا الدمشقي قد عالج هذه البدعة في كتابه الايمان بقوله: واولئك الذين يدعون انه اذا كان للمسيح طبيعتان فاما ان نعبد المخلوق مع الخالق او ان نعبد طبيعة واحدة من الاثنتين »[٣]. فتبنى قسطنطين الخامس هذه الحجة واستبدل الاشارة فيها الى الطبيعة البشرية بتصوير الناسوت فقال ان من يصوّر المسيح يرتكب واحدة من اثنتين اما القول بانفصال الطبيعتين واما نسبة خصائص الطبيعة البشرية الى الطبيعة الالهية. وحدد الصورة الحقيقية فأوجب ان تكون من نفس جوهر المصوَّر وخلص الى القول بان للمسيح صورة واحدة فقط هي الخبز والخمر جسده ودمه. ووصم من صوَّر جسد المسيح وأكرم صورته بالقول باقنوم رابع وبالخروج على مقررات المجامع وبالقول بامكانية حصر الله والاحاطة به وهو خروج والحاد. وأضاف: « وهكذا فان اخصامي هم اما نساطرة واما يعاقبة! »[٤] ويرى بعض العلماء ان قسطنطين جارى اليعاقبة ولكنه لم يجهر بقولهم. ودليلهم على ميله الى القول بالطبيعة الواحدة انه آثر اللفظ Prosopon « الوجه » على اللفظ upostasis « الاقنوم » والعبارة ex duo phuseon « من طبيعتين » على العبارة en duo phusesin « في طبيعتين »[٥]. ويرى هؤلاء العلماء في تبجيل ميخائيل السرياني لقسطنطين دليلاً آخر على جنوحه نحو اليعاقبة.

(١) *Patr. Gr.*, Vol. 94, Col. 1236; *De Fide Orthodoxa*, III, 8; *P.G.*, Vol. 94, Col.1013-1016.

(٢) Lietzmann, Ed., *Apollinaris von Laodicea und seine Schule*, I, 28, 245.

(٣) *De Fide Orthodoxa*, III, 8; *P.G.*, Vol. 94, Col. 1105.

(٤) Ostrogorsky, G., *Studien zur Gesch. des Byz. Bilderstreits*, 8-40; Alexander, P., *Patriarch Nicephorus, Ecc. Policy and Image Worship in the Byz. Emp.*, Oxford, 1958, 48-53.

(٥) Ostrogorsky, G., *op. cit.*, 19, 25-26.

فيخائيل رأى فيه « رجلاً مثقفاً استصوب بملء ارادته التعابير التي دوّنها الارثوذكسيون » ! اي اليعاقبة[١] . ولم يقف قسطنطين عند هذا الحد فانه لم يعترف بشفاعة العذراء والقديسين ولم يرضَ عن استعمال اللفظ « القديس » agios في الاشارة اليهم[٢] . واشار الى السيدة والدة الاله بالعبارة والدة المسيح فشايع النساطرة ![٣]

مجمع المبطلين: (٧٥٤) وبعد ان تثبت قسطنطين من موقف جيشه وموقف عاصمته ومجاراة الاكليروس وبعد ان وضّب ملفاته دعا الى مجمع حمل لقب المسكوني ليتخذ قرارًا مسكونياً بشجب تصوير المسيح والقديسين واكرام صورهم .

ويختلف العلماء في تاريخ انعقاد هذا المجمع . فان بيوري وهوبرت يريان ان اسطفانوس الثاني بابا رومة علم بما تمّ في هذا المجمع قبل استغاثته بالافرنج على اللومبارديين فيذهبان الى القول بان المجمع عقد في السنة ٧٥٣[٤] . ولكن الاب غرومل بعداطلاعه على محفوظات البطريركية المسكونية جعل تاريخ الانعقاد بين العاشر من شباط والثامن من آب السنة ٧٥٤[٥] .

ولبى الدعوة ثلاث مئة وثمانية وثلاثون اسقفاً ! وامتنعت رومة والاسكندرية وانطاكية واورشليم عن الاشتراك . وتوفي البطريرك القسطنطيني انسطاسيوس قبيل انعقاد هذا المجمع فترأس الجلسات ثيودوروس متروبوليت افسس احد زعماء حركة التحطيم منذ عهد لاوون الثالث وابن الامبراطور انسطاسيوس الثاني المخلوع . واشهر الاعضاء سيسينيوس متروبوليت برجه وباسيليوس متروبوليت انطاكية بسيدية . ومكان الاجتماع قصر هيرية Hieria على ضفة البوسفور الاسيوية بالقرب من خلقيدونية .

واتخذ الاعضاء لمجمعهم لقب المجمع المسكوني السابع . وزاولوا الاعمال ستة اشهر متتالية . ولعل السبب في ذلك امتناع جمهور الاساقفة عن موافقة قسطنطين في بعض ما ذهب اليه ولا سيما في موقفه من قضية الطبيعتين ومن القول ان السيدة هي والدة الاله . والدليل على انهم لم يشايعوه في هذا قولهم « ان مريم والدة الاله هي فوق الخليقة كلها وانها تشفع مع جميع القديسين بالبشر »[٦] .

(١) *Michel le Syrien* (Chabot), II, 523.

(٢) *Vita Nicetae*, XXVIII.

(٣) Theophanes, *Chron.*, a. 6218, 6258-6259.

(٤) Brehier, L., *Querelle des Images*, *op. cit.*, 468.

(٥) Grummel, *Echos d'Orient*, 1934, 406-407.

(٦) *Mansi*, XIII, Col. 335, 347-348.

وجاء في اوروس oros هذا المجمع اي في قراره النهائي ان الشيطان جرّ الكنيسة الى عبادة الاوثان وأن المسيح حرك الفسالسة الاتقياء وسلّحهم بنعمة الروح القدس ليقضوا على عبادة الاوثان الجديدة على صور المسيح التي اتخذت شكلاً هرطوقياً وعلى الاساءة الى العذراء والقديسين بتصوير اجسادهم الارضية . وحرم المجمع كل من يصور ايقونة او يكرمها او يضعها في كنيسة من الكنائس او في بيت من البيوت او يقتنيها او يخفيها. واوجب معاقبة المعارضين واعتبرهم خارجين على القانون واعداء لله وللعقيدة التي علّم بها الآباء . وخصّ المجمع الفسيلفس والبطريرك بتنفيذ قراراته. فمنع اي تغيير في الكنائس دون موافقة الفسيلفس او البطريرك . وحرّم تدنيس الكنائس ونهبها او تخريب ما فيها .

وفي الثامن من آب انتقل المجمع الى كنيسة السيدة في بلاخيرنة فقدّم الفسيلفس البطريرك الجديد قسطنطين الثاني[١] . وفي السابع والعشرين ذهب الفسيلفس والبطريرك الى الفوروم فتُليت بحضورهما قرارات المجمع ورُشق جرمانوس « عابد الخشب » بالحرم وكذلك يوحنا الدمشقي « صديق الاسلام وعدو الدولة ومحرف الاسفار المقدسة » وجاورجيوس القبرصي[٢] . وتسلّح الفسيلفس بقرارات المجمع فاعتبر كل معارض لها خارجاً على الدين والدولة[٣] .

غيظ قسطنطين وبلاؤه : وتقوى قسطنطين بهذه القرارات ولكنه لم يبدأ فور ظهورها بالاضطهاد . فالخطر البلغاري قضى بالتريث والمحافظة على السلم في داخل الدولة . وفي السنة ٧٦١ قضى بطرس البلاخيرني واندراوس الكلبي تحت اسياط الجلادين لانهما عارضا الفسيلفس ورأيا فيه والنسا اويوليانوساً جديدًا[٤] . ثم انتصر قسطنطين على البلغاريين فأصدر في السنة ٧٦٦ الثيسموس كاثوليكوس Thesmos Katholikos وهو قانون اوجب على جميع الرعايا ان يقسموا بالله بانهم لن يعبدوا الايقونات[٥] . وكان البطريرك قسطنطين الثاني اول الحالفين . فانه علا الامبون في كنيسة الحكمة الالهية وأمسك ذخيرة الصليب المقدس وأقسم انه لم ولن يعبد الايقونات وامتنع كثيرون ، وبينهم الاعيان والضباط والجنود ، عن الحلف فحلّ بهم العذاب ملوناً تلويناً[٦] .

(١) Theophanes, *Chron.*, a. 6245; Nicephore, *Brev.*, 66.

(٢) Theophanes, *Chron.*, a. 6245; Nicephore, *Brev.*, 66.

(٣) Brehier, L., *op. cit.*, 470; Diehl, C., *Séances, Acad. Inscrip. et Belles-Lettres*, 1915, 138.

(٤) Theophanes, *Chron.*, a. 6253.

(٥) Dolger, F., *Reg.*, 324; Theophanes, *Chron.*, a. 6257.

(٦) Theophanes, *Chron.*, a. 6257; Nicephore, *Brev.*, 73.

وصبَّ قسطنطين غيظه وبلاءه على الرهبان . فكم عين قلع وكم يدٍ واذنٍ قطع فضلًا عن قتلهم . واستعرض مرة فئة منهم في ميدان الهيبودروم واوجب على كل منهم ان يمسك بيد امرأة في اثناء العرض . ثم استعرض في الميدان نفسه عشرين وجيهاً وموظفاً بتهمة التآمر على الفسيلفس واتباع اسطفانوس الجد او الاصغر . وبعد اهانتهم سمل اعينهم وضرب عنق اثنين منهم . وفي الخامس عشر من تشرين الاول سنة ٧٦٧ أمر بقطع راس البطريرك قسطنطين الثاني . فنفذ الامر في الهيبودروم وعرض رأس البطريرك عند مدخل البطريركية وجُرَّت جثته الى البلاجية مقر المجرمين والكفرة[١] . واقام الفسيلفس الخصيَّ نيقيطاس بطريركاً على القسطنطينية وبلغ الاضطهاد الذروة فنبشت عظام القديسة الشهيرة افيمية من مرتيريون خلقيدونية ، حيث اجتمع الآباء القديسون في السنة ٤٥١ ليقروا اعمال المجمع المسكوني الرابع ، ورميت في البحر فحملتها الامواج الى جزيرة لمنوس[٢] . وحُرِّمت الصلاة للقديسين ونبشت قبورهم[٣] . وفي السنة ٧٧٠ جمع ميخائيل لاخانوذراكون حاكم ازمير وافسس رهبان ولايته وراهباتها وأمرهم بان يرتدوا الابيض ويتزوجوا حالًا . ومن لم يطع فتسمل عيناه ويقصى الى قبرص . فاستشهد بعضهم وأطاع آخرون[٤] . فهنأه قسطنطين قائلًا : لقد وجدت في شخصك رجلًا يحب ما احب وينفذ جميع رغباتي[٥] . وصادر قسطنطين املاك الاديرة وضمها الى املاك الدولة . وفرَّ عدد كبير من الرهبان الى ايطاليـة وجنوبي روسية وشاطىء لبنان وفلسطين . ويقدّر الاستاذ اندريف الروسي عدد الذين فروا الى ايطاليا بخمسين الفاً[٦] .

اسطفانوس الاصغر : (٧٦٤) واشهر الشهداء في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة الجامعة اسطفانوس الاصغر او الجديد كما ينص التقليد . وقد سبقت الاشارة الى مولده وحداثته ودخوله الدير المقدس . وحرص قسطنطين الفسيلفس على استمالته واوفد اليه كليستوس احد رجال البلاط . ولكن اسطفانوس رد الرسول والهدايا وصرَّح ان اكرام الايقونات صحيح حسن . فغضب قسطنطين وسجنه في دير منفرد . وضيق عليه في المأكل

---

(١) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6257, 6259.

(٢) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6258.

(٣) DOLGER, F., *Reg.*, 327; HAMARTOLOS, G., (Boor), 751.

(٤) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6262.

(٥) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6263.

(٦) ANDREEV, I., *Gerlanus and Tarasius*, 78.

والمشرب . ثم سخَّر كليستوس رهباناً ليفتروا عليه في اخلاقه الشخصية . فتألم اسطفانوس ولكنه بقي صامتاً مسلماً أمره لله . ثم عاد الفسيلفس وأرسل اليه بعض الاساقفة ليحملوه على الانضمام اليهم فلم يفلحوا فرفسه احدهم برجله فقبل الاهانة بهدوء وسكينة . ونقل من جزيرة خريسوبول الى جزيرة بروكونيزس فلجأ الى احد كهوفها . فتبعه بعض الرهبان من تلاميذه وحولوا الكهف المقفر الى كنيسة منعشة بانغامها ونشائدها. فاستقدمه الفسيلفس وازدراه ووبخه وشتمه . فاخذ اسطفانوس قطعة من النقود تحمل رسم قسطنطين وداسها . فغضب الفسيلفس . فقال القديس : « اذا كنت تغضب لاهانة صورتك فكيف لا يغضب السيد المسيح ووالدته الطاهرة وملائكته وقديسوه لما يفعل عمالك بالايقونات » . فأمر الفسيلفس بسجنه مع اللصوص والقتلة . فوجد القديس بين هؤلاء ثلاث مئة واربعين راهباً . فتحول السجن الى دير .ولبث اسطفانوس سنة كاملة فيه. فأمر الفسيلفس بقتله ضرباً بالعصي ولكن الجند تهيبوا . فجُرَّ بالازقة والشوارع . ومرَّ امام كنيسة القديس ثيوذوروس فرسم شارة الصليب ففجأه احدهم بضربة على رأسه فنقله الله الى دار كرامته[1] .

(١) *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1145-1180; Vasilievsky, V.G., *The Life of Stephen the Younger*, "Works," II, 1909.

اطلب ايضاً موجزاً لطيفاً في السنكسار لسيادة المطران ميشال عساف ج ١ ص ١١٧ — ١٢٣ تحت ٢٨ تشرين الثاني .

الفصل الرابع

المجمع المسكوني السابع

٧٨٧

لاوون الخزري وابرينة : وشنها قسطنطين الخامس حرباً جديدة على البلغاريين. فمرض واثخنه المرض فاوقف الحرب وعاد الى القسطنطينية . وقبل أن يصلها حضرته الوفاة فلجأ الى من حارب طوال حياته الى والدة الاله نصيرة المسارعين اليها ورجاء اليائسين . ولفظ نفسه في الرابع عشر من ايلول سنة ٧٧٥ [١] . فخلفه ابنه لاوون الرابع الخزري . وكان لاوون مثل والده يرفض الايقونات ولكنه كان ليّن الجانب [٢] . وبعد خمس سنين خلف لاوون ابنه قسطنطين السادس وله من العمر عشر سنوات .

وتولت ايرينة الفسيلسة الحكم باسم ابنها قسطنطين. وكانت اثينية مستقيمة الرأي تحب الايقونات وتكرمها . ولكنها رأت منذ بداية عهدها ان الجيش ما يزال معادياً للايقونات وان الصقالبة في غليان مستمر وان العرب المسلمين في طمع متزايد فأرجأت النظر في اعادة الايقونات الى مكانتها الى وقت آخر .

مواصلة بعد قطيعة : وكانت رومة قد قاطعت القسطنطينية منذ ان حلّ انسطاسيوس محل جرمانوس في رئاسة كنيسة القسطنطينية . وكان غريغوريوس الثالث بابا رومة قد لعن محطمي الايقونات في السنة ٧٣١ . وكان اسطفانوس الثالث قد ردّ على

---

(١) Theophanes, *Chron.*, a. 6267.

(٢) *Ibid.*, a. 6268.

مقررات مجمع التحطيم بقرارات مجمع محلي عقد في السنة ٧٦٩ . وكان بطاركة الشرق قد وافقوا اخاهم بابا رومة في موقفه هذا .

وفي ربيع السنة ٧٨١ اتجه اثنان من كبار رجال البلاط القسطنطيني الى الغرب ليخطبا اروثرة (روترودة) بنت كارلوس الكبير لقسطنطين السادس. فوافق كارلوس(١). ولا يستبعد ان يكون هذان الموظفان الكبيران قد اتصلا بادريانوس الاول بابا رومة واطلعاه على ما كانت تكنه ايرينة من احترام للايقونات ولا سيما وان الاتفاق مع كارلوس الكبير قضى بان تتعلم اروثرة اللغة اليونانية وتتدرب في الطقس البيزنطي .

وتطورت الظروف وترادفت النعم فأحرز الجيش انتصارات جديدة في آسية في ظل الوصية ايرينة . وشاخ بولس الرابع بطريرك القسطنطينية وقارب الوصية . فندم على ما كان منه . وتكشّفت له عقبى يمينه التي أقسم عند وصوله الى السدة البطريركية. واستوخم غِبَّ القطيعة التي وقعت بينه وبين اخوته البطاركة الاربعة. ففاجأ في ايار السنة ٧٨٤ رجال الدين والدولة بالتخلي عن الرئاسة والالتجاء الى دير يتندم فيه ويستعد لملاقاة ربـه . ثم نصح الفسيلسة ان تتدارك الامر فتسعى الى عقد مجمع مسكوني تشترك في اعماله البطريركيات الاربع الاخرى لتلافي ما وقع من التقصير. فاغتبطت الفسيلسة واستبشرت وكتبت في التاسع والعشرين من آب سنة ٧٨٤ باسمها وباسم ابنها قسطنطين السادس الى البابا ادريانوس الاول تقول انه بعد التشاور مع رجال الشعب والكنيسة استحسنت حكومتها دعوة احبار الكنيسة الى مجمع مسكوني وانها ترجو البابا ان يشترك في اعمال هذا المجمع بنفسه او ان يوفد من يمثله من رجال العلم مزودين برسائل ثبوتية لاثبات عقيدة الآباء واقتلاع الزيزانيون اي الاعشاب المضرة . فينتهي عندئذ الشقاق وتتحد الكنيسة برئاسة المسيح رئيسها الاوحد(٢).

البطريرك طراسيوس : (٧٨٤—٨٠٦) وتوفي البطريرك بولس الرابع في اوائل ايلول من السنة ٧٨٤ . فرأت الفسيلسة ايرينة ان يصار الى انتخاب خلف له من الاوساط الشعبية العالية لا من الاكليروس لتضمن بذلك عودةً الى الرأي القويم . فدعت الى اجتماع الوجوه والاعيان في القصر وبحثت معهم امر انتقاء خلف صالح لبولس المتوفى فأجمعوا على رفع طراسيوس سكرتير asecretis الفسيلسة الى السدة البطريركية . فذكر طراسيوس الشقاق الذي كان قد حلّ في الكنيسة الجامعة وكيف ادى الى انعزال

(١) Theophanes, *Chron.*, a. 6274; Dolger, *Reg.*, 339.

(٢) Dolger, F., *Reg.*, 341; *Mansi*, XII, Col. 984; *P.G.*, Vol. 129, Col. 199.

كنيسة القسطنطينية عن شقيقاتها الكبرى واوجب اللجوء الى مجمع مسكوني يُضيء بعد التغير . واوضح انه لن يقبل المركز الا على هذا الاساس . فاعترض بعضهم فرداً طراسيوس حجتهم عليهم فتبوأ السدة البطريركية في يوم عيد الميلاد من السنة ٧٨٤[١] .

وما ان تسلم طراسيوس عكاز الرعاية حتى بادر الى تحرير رسائل الجلوس ووجهها الى اخوته البطاركة الاربعة وضمنها اعترافاً واضحاً بشفاعة العذراء والملائكة والقديسين وباحترامه للايقونات التي تمثلهم ولا سيما ايقونة السيد المسيح[٢]. وكتبت الفسيلسة الوصية الى بطريرك رومة تعلن ارتقاء طراسيوس وتدعو الى مجمع مسكوني . وقد ضاع نص هذه الرسالة ولم يبقَ منها سوى ما جاء في رد ادريانوس بابا رومة[٣] . ويلاحظ ان رجال الاختصاص يختلفون في تأريخ بعض الرسائل التي تبودلت في هذه الحقبة[٤] .

ردود البطاركة : وكانت المواصلات بين الشرق والغرب لا تزال صعبة فلم يرد بابا رومة ادريانوس الاول قبل السادس والعشرين من تشرين الاول سنة ٧٨٥ . ففي هذا التاريخ حرر رسالتين واحدة الى ايرينة وابنها قسطنطين السادس والاخرى الى طراسيوس بطريرك القسطنطينية[٥]. ووافق على عقد مجمع مسكوني وعيّن ممثليه القسين بطرس وبطرس وبين الاسباب التي حدت به وبكنيسة رومة لاكرام الايقونات واحترامها. ثم أسف للتغييرات التي اجراها لاوون الثالث في حدود البطريركيات وأظهر رغبته في ابقاء القديم على قدمه واعادة ما سلخ عن بطريركية رومة اليها . وأسف ادريانوس ايضاً للخروج على التقليد بترقية علماني الى السدة البطريركية وبالاشارة اليه باللقب البطريرك المسكوني رغم اعتراض البابا غريغوريوس العظيم على ذلك. ووافق كل من ابوليناريوس البطريرك الاسكندري وتيودوريطس البطريرك الانطاكي والياس البطريرك الاورشليمي على عقد المجمع وعينوا من يمثلهم فيه وأسفوا لضغط السلطات المحلية وعدم السماح لهم بالاشتراك بانفسهم في اعمال المجمع المرتقب. ومثّل توما سيده بابا وبطريرك الاسكندرية وناب عن تيودوريطس البطريرك الانطاكي السنكلوس يوحنا[٦] .

(١) *Mansi*, XII, Col. 986; Theophanes, *Chron.*, a. 6277.

(٢) *Mansi*, XII, Col. 1119 ff; Grumel, *Reg.*, 351, 352.

(٣) Dolger, F., *Reg.*, 343; *Mansi*, XII, Col. 1056.

(٤) Dolger, F., *Reg.*, 339, 341; Amann, E., *L'Epoque Carolèingienne*; Fliche et Martin, VI, 113-114, notes.

(٥) Jaffe-Wattenbach, *Regesta Pontificum Romanorum*, 2448, 2449.

(٦) *Mansi*, XII, Col. 1127-1146.

جلسة كنيسة الرسل : وفي اول آب سنة ٧٨٦[1] تكامل عدد المدعوين الى المجمع فاجتمع الاساقفة الاعضاء في كنيسة الرسل في القسطنطينية بحضور ايرينة وقسطنطين السادس . وبدأ الآباء بدرس نصوص الاسفار المقدسة موضوع البحث في اكرام الايقونات او عدم اكرامها . وما كادوا يبدأون حتى فوجئوا بتدخل مسلح قام به بعض كبار رجال الجيش ولا سيا ضباط الحرس الذين هددوا البطريرك والاساقفة ورؤساء الرهبان بالموت ان هم عادوا الى اكرام الايقونات واحترامها . وعبثاً حاولت الفسيلسة اعادة النظام الى الجلسة . وعبثاً حاول البطريرك اعادة السكوت. فالجند وبعض الاساقفة قاطعوه بالصراخ والضجيج . فأُجلت الجلسة وتوارى الاساقفة القويمو الرأي مسرعين مهرولين نحو مراكز ابرشياتهم[2] .

وعالجت ايرينة الموقف فانفذت بعض الجنود والمتمردين الى آسية لمحاربة المسلمين عند الحدود[3] . واستعانت بمن ائتمنت من جنود تراقية وجردت من تبقى من العناصر المتمردة من السلاح واعادتهم الى مواطنهم مع عائلاتهم[4] . ولما تم لها ذلك عادت فدعت الآباء الى الاجتماع ثانية في ايار السنة ٧٨٧ . وتجنبت العاصمة فجعلت نيقية مقر المجمع. وكانت وفود البطاركة لا تزال في العاصمة . اما وفد رومة فانه كان قد وصل الى صقلية. فعاد الى الشرق وافتتح المجمع المسكوني السابع في نيقية في الرابع والعشرين من ايلول سنة ٧٨٧ .

جلسات نيقية : وأمَّ نيقية ثلاث مئة وخمسون اسقفاً او اكثر وعدد كبير من الرهبان. وناب عن باب رومة القسان بطرس وبطرس وعن البطاركة الثلاثة الشرقيين القسان توما ويوحنا . وتولى الرئاسة طراسيوس البطريرك القسطنطيني .

وعقد المجمع ثماني جلسات في اربعة اسابيع . واشترع اثنين وعشرين قانوناً . وخطب البطريرك الرئيس في الجلسة الاولى خطبة وجيزة. ثم قرئ كتاب قسطنطين السادس الفسيلفس ووالدته ايرينة . فجاء هكذا : « اننا قياماً بالوصية الانجيلية وصية المسيح رئيس الكهنة الابدي قد اعتنينا في ارجاع السلام الى الكنيسة . فبرضاه ومسرته قد جمعناكم انتم كهنته الجزيل بركم الحافظين عهده بذبائح غير دموية ليكون حكمكم حكم المجامع المستقيمة

(١) GRUMEL, *Reg.*, 355.

(٢) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6278.

(٣) OSTROGORSKY, G., *The Byz. State*, 158.

(٤) AMANN, E., *Querelle des Saintes Images*; FLICHE et MARTIN, *op. cit.*, VI, 117.

الرأي وليشرق نور الروح على الجميع ». ثم دوّن كلام طراسيوس قبل قبوله الشرطونية: « اني ارى وانظر كنيسة المسيح المؤسسة على الصخرة التي هي المسيح الهنا مقسومةً الآن ومنشقة. واننا نحن كنا نقول قبلًا غير ما نقول الآن . ومسيحيو الشرق الماثلون لنا الايمان يقولون قولًا آخر . ووافقهم مسيحيو الغرب . ونحن غرباء عنهم جميعاً . وكل يوم نحوم من الجميع . فاطلب عقد مجمع مسكوني يحضره نواب عن بابا رومة وعن رؤساء كهنة الشرق » . ثم قرئت رسائل البابا وسائر البطاركة . ونظر المجمع بعد ذلك في أمر الاساقفة المبتدعين . فأراد طراسيوس ان يتجنب الجدل اللاذع. فعارضه في ذلك الرهبان . ثم أقنع هؤلاء بوجوب السكوت. فدخل الاساقفة المبتدعون واعترفوا بغلطهم وقدموا ندامة ورفعوا اعترافات ايمان مستقيم . وفي مقدمة هؤلاء باسيليوس اسقف انقيرة . وقد قال في كتابه : « انا باسيليوس اسقف مدينة أنقيرة قد اخترت ان اتحد بالكنيسة الجامعة اعني ادريانوس بابا رومة الجزيل القداسة وطراسيوس البطريرك الجزيل الغبطة والكراسي الرسولية الجزيلة القداسة كرسي اسكندرية وانطاكية والمدينة المقدسة وسائر رؤساء الكهنة والكهنة الارثوذكسيين . وقدمته اليكم انتم الذين نلتم السلطان عن الاصل الرسولي » .

وفي الجلسة الثانية قرئت رسائل البابا والبطاركة الآخرين. ومما جاء في رسالة البابا الى الفسيلفس وايرينة انه نائب الرسولين بطرس وبولس هامتي الرسل وان سلطان الحل والربط منح لهما وانه يترامى هو واخوته الاساقفة على اقدام الفسيلفس ووالدته الفسيلسة متضرعاً ان يعيدا السجود للايقونات المقدسة . وتكلم في رسالته الى طراسيوس قائلًا : « وبما ان بركم قريب من الاقدام السامية اقدام ملوكنا العظام الجزيل تقواهم المتوجين من الله تضرعوا اليهم عنا . . . ان يأمروا باعادة الايقونات المقدسة الى مركزها القديم في مدينة العاصمة وفي كل مكان » . ثم سأل الآباء البطريرك هل يوافق ادريانوس بابا رومة . فأجاب انه يوافق وانه هو نفسه فحص وبحث وتعلم واعترف ويعترف وسيعترف بصحة ما قاله ادريانوس قابلًا الايقونات المصورة على تسليم الآبا . وسأل هؤلاء الآباء المجمع هل يوافقون . فأجاب الآباء الاعضاء بالايجاب. فقال القس يوحنا احد ممثلي البطاركة الشرقيين: « يليق بنا ان نرنم زبورياً الرحمة والحق تلاقيا والعدل والسلام تلاثما باتفاق رأيهما وتعليمهما. والاشارة هنا الى ادريانوس بابا رومة وطراسيوس بطريرك القسطنطينية .

واقرَّ الآباء في هذه الجلسة الثانية واعترفوا بانهم يقبلون التصاوير المجازية عملًا بالتقليد القديم الموروث عن الآباء القديسين وبانهم يسجدون لها باحترام نسبي لانها صنعت « على اسم

المسيح الهنا وعلى اسم سيدتنا والدة الاله القديسة وعلى الملائكة القديسين وجميع القديسين » ولكنهم يخصون الله وحده بالعبادة والايمان[١] .

وفي الجلسة الثالثة قرئت رسالة طراسيوس الى البطاركة واجوبتهم عنها. واعترف الآباء في الجلسة الرابعة بشفاعة والدة الاله سيدة المخلوقات جميعها وبشفاعة الرسل والانبياء والشهداء والآباء المعلمين وجميع القديسين. وكرروا الاعتراف باكرام الايقونات وتقبيلها . وألغوا قرارات مجمع السنة ٧٥٤ وافسدوا قوانينه لانه لم يشترك في اعماله البابا والبطاركة ولم يوافقوا عليها[٢] . وفي الجلسة السادسة قرئ قرار مجمع هيرية ونقض .

وفي الجلسة السابعة تلي السونوذيكون فأوجب المجمع فيه تقبيل الايقونات والسجود الاكرامي لها احتراماً للذين صُوّرت عليهم لا عبادة لهم لان العبادة انما تجب لله وحده دون غيره . ثم حرم المجمع البطاركة انسطاسيوس وقسطنطين ونيقيطاس وجميع محاربي الايقونات وكرروا حرم الهراطقة السابقين وبينهم البابا اونوريوس . وحدد المجمع وجوب حفظ التسليم الكنائسي بلا احداث او تغيير. ووجوب حفظ دستور الايمان النيقاوي بلا زيادة ولا نقصان[٣] . ثم كتب البطريرك طاراسيوس رئيس المجمع الى الفسيلفس والفسيلسة والى اكليروس العاصمة يبشر باعمال المجمع وانتهاء جلساته . فدعت الفسيلسة المجمع الى العاصمة واستقبلت اعضاءه استقبالاً فخماً. وفي يوم معين عقدت جلسة ثامنة في البلاط في قصر المغنابرا بحضور الفسيلفس ووالدته الفسيلسة وقرئت الاعمال وصدق عليها منها . ثم رفع الآباء اصواتهم بالدعاء للعاهلين الكبيرين وبالذكر المؤبد للبطريرك جرمانوس وليوحنا الدمشقي[٤].واشترع المجمع المسكوني السابع اثنين وعشرين قانوناً لاعادة النظام الى الكنيسة بعد التغييرات والتبديلات التي تمت في عهد محطمي الايقونات[٥] .

كارلوس الكبير والمجمع : وكتم البابا ادريانوس اخبار هذا المجمع من كارلوس الكبير وطواها طوال مدة انعقاد المجمع . ثم سمح بنقل القرارت الى اللاتينية فنقلت مشوهة . وانتشر امرها فوصلت شنيعة الى بلاط الافرنج . فاستنكف علماء هذا البلاط للكنيسة منها وهبُّوا يأنفون ويتكرمون . ودفعوا بها الى ألكوينوس عبد بحر

(١) *Mansi*, XII, Col. 1086; Amann, E., *op. cit.*, VI, 118.

(٢) *Mansi*, XIII, Col. 132.

(٣) الكنز الثمين لبطرس نتشايف ص ٢٩٠-٢٩٩

(٤) *Mansi*, XIII, Col. 377 ff.

(٥) *Mansi*, XIII, Col. 413-418; Theophanes, *Chron.*, a. 6280.

المانش لتفنيدها والرد عليها . فعكف هذا العالم على ما تسلم ورد ردًا طويلًا تحت العنوان Capitulare de Imaginibus . وعرف مصنفه هذا بالكتب الكارولية . وظهر كارلوس في هذه الكتب الكارولية بمظهر الحكم بين آباء مجمع هيرية وآباء مجمع نيقية . وأغضى على اعمال اولئك وعاب هؤلاء واتهمهم بالافتراء على الاسفار المقدسة واقوال الآباء . وفي السنة ٧١٤ دعا كارلوس الى مجمع غربي في فرانكفورت للنظر في بدعة التبني التي كانت قد شاعت في اسبانية بعد دخول المسلمين اليها وفي قرارات المجمع المسكوني السابع . وعلى الرغم من وجود ممثلي البابا فان هذا المجمع شجب اعمال المجمع المسكوني ![1]

اجتهاد بروتستانتي : وذهب العالم البروتستانتي الالماني ادولف فون هارنك (١٨٥١—١٩٣٠) الى ابعد من هذا . فرأى اختلافاً اساسياً بين موقف الكنيسة اليونانية وموقف شقيقتها اللاتينية من الايقونات . فالكنيسة اليونانية في نظره كانت قد قدّمت الخلاص من الموت على الخلاص من الخطيئة فرحبت بكل ما كان من شأنه ان يؤكد الخلود بعد الموت او يصفه وصفاً مؤثرا في النفوس وراحت تزين الكنيسة بطقوسها تزييناً يترك في نفوس المؤمنين نموذجاً مما سيلاقونه من فرح دائم بعد الانتقال الى الحياة الابدية . ثم ذهب علماؤها منذ القرن السادس يربطون هذه الطقوس بالعقيدة فيضعونها على مستوى واحد مع الاسرار المقدسة . فأصبح القول باكرام الايقونات جزءا من الخريستولوجية الشرقية . وتجلت اهمية الايقونات عند الجماهير بغيرة المحامين عنها وكره المؤمنين بها لكل من عاداها .

اما في الاوساط اللاتينية فان الخوف من الخطيئة كان اشد من الخوف من الموت . فتساوى الخلاص والتحرر من الخطيئة ولمس المؤمنون شيئاً من الخلاص في حياة ارضية ملآنة بالايمان والرجاء والمحبة . فقلّت اهمية الايقونات ولم تناظر الاسرار . ولم يتقن الآباء اللاتينيون الناحية اللاهوتية من قضية الايقونات ولم تثر هذه القضية الاحقاد والضغائن في الغرب كما اثارتها في الشرق . واكتفى علماء اللاهوت في الغرب باعتبار الايقونات اداة فعالة للتهذيب الديني[2] .

---

(١) AMANN, E., *Querelle des Saintes Images*, *op. cit.*, VI, 120-127.

(٢) HARNACK, A. von, *Der Geist der Morgenlandischen Kirche im Unterschied von der Abendlandischen*, *Sitz. der Kgl.* Preus. Akad. der Wissenschaften, 1913, 157-183; MARTIN, E.J., *Hist. of the Iconoclastic Controversy*, 222-273; BREHIER, L., *Querelle des Images*, 57-62.

الفصل الخامس

الاسرة العمورية وابطال الايقونات

٨١٣-٨٤٣

سقوط ايرينة : واستمسك البطريرك القسطنطيني باللقب « البطريرك المسكوني » . وظلت الابرشيات التي سلخها الفسيلفس المحطم لاوون الايسوري عن كنيسة رومة خاضعة لسلطة بطريرك القسطنطينية . وتعاظم شأن الافرنج في الغرب ولمع كارلوس الكبير وعلت مكانته . ولم تسفر سياسة التقارب بين ايرينة وبين كارلوس وفُسخت الخطبة بين قسطنطين السادس ابن ايرينة وبين روترودة بنت كارلوس . وتزوج قسطنطين السادس من مريم الارمنية . فغضب كارلوس لكرامته ومصلحته ودعا الى مجمع فرانكفورت (٧٩٤) وشجب اعمال المجمع المسكوني السابع . وسكت ادريانوس بابا رومة عن هذا الشجب على الرغم من اشتراكه في المجمع المسكوني !

وكثرت الدسائس والمناورات في بلاط الروم . وطمعت ايرينة في السلطة وجافاها ابنها قسطنطين . ثم عبث بقوانين الكنيسة وطلّق مريم الارمنية وتزوج ثانية فضجت الاوساط الاكليريكية الارثوذكسية بالاحتجاج واللوم. وطغا قسطنطين وتجبر فأبعدته ايرينة عن الحكم (٧٩٧) وسملت عينيه . واستأثرت بالسلطة فخرجت بذلك على العرف والتقليد . واستغل كارلوس هذا الظرف فاعتبر عرش الامبراطورية شاغرًا . وماشاه في ذلك لاوون الثالث بابا رومة. فتوج كارلوس في عيد الميلاد من السنة ٨٠٠ امبراطورًا . فرأى الروم في ذلك خروجاً وتوقعوا زحف كارلوس الى الشرق . وفاوض كارلوس ايرينة في الزواج ونظرت ايرينة الى

هذا الاقتراح بعين الرضى فاثارت مخاوف بعض الهيئات الدينية والزمنية. ثم حاولت استرضاء بعض الاوساط فخفضت الضرائب فقلّ دخل الخزينة . وتغاضت عن مطامع هارون الرشيد في قيليقية . واستقدم هذا الخليفة عناصر من الجند خراسانية واقامهم في طرسوس وضواحيها فهددوا الامن في حدود الروم الجنوبية. فاشتدت المعارضة لحكم ايرينة وتآمرت بعض عناصر البلاط فخلعت ايرينة في السنة ٨٠٢ وأُبعدت الى جزيرة الامراء ثم الى لسبوس وتوفيت بعد حين[١] .

نيقفوروس ونيقوفوروس: واستطاع نيقيفوروس السامي او العربي ان يُبعد ايرينة عن الحكم فجاهد في سبيل الخزينة وفرض ضرائب جديدة خصَّ بها الاغنياء لتعبئة الجيش وتسليحه. وأخمد الثورات التي اشعلها الضباط الساخطون ولكنه لم يوفق في حروبه الخارجية .

واعتدل نيقيفوروس في سياسته الدينية. فقال باكرام الايقونات ولكنه لم يندفع في تنفيذ مقررات المجمع المسكوني اندفاع ايرينة. فالمحطمون كانوا لا يزالون كثراً اقوياء في الثيمات الشرقية. وكان لا يزال بينهم عدد غير قليل من الاساقفة والرهبان[٢]. وكان الرهبان وفي طليعتهم جماعة الاستوديون ، قد اجتمعوا على اكرام الايقونات واجمعوا على اصلاح الكنيسة والدولة واستقاموا على تطبيق القانون. وقالت فئة ثالثة من رجال الدين والدولة بتهدئة الاحوال واعادة النظام والوئام الى صفوف الدولة والكنيسة. وعلى الرغم من تمسك هذه الفئة باكرام الايقونات فانها اعتدلت في اعمالها وتحاشت كل ما كان من شانه ان يثير العاطفة والشقاق. وتزعم هذه الفئة المعتدلة الفسيلفس نيقيفوروس والبطريرك طراسيوس وعدد من كبار رجال البلاط[٣] .

وتوفي البطريرك طراسيوس في الثامن عشر من شباط سنة ٨٠٦ . فرأى الفسيلفس ان المصلحة تقضي بوصول شخص الى الكرسي القسطنطيني يجمع بين التقوى والعلم واستقامة الرأي والاعتدال في آن واحد. واستعرض الرجال فلم يرَ اليق من نيقيفوروس معاون السكرتير الاول في البلاط. وكان نيقيفوروس هذا قد أبصر النور في العاصمة في حوالي السنة ٧٥٨ في[٤] بيت عريق في الشرف. وكان والده ثيودوروس من رجال البلاط سكرتيراً في عهد قسطنطين

(١) Theophanes, *Chron.*, a. 6290-6295; Brehier, L., *Byzance*, 88-94; Ostrogorsky, G., *The Byz. State*, 161-162.

(٢) Dvornik, F., *Les Slaves, Byzance et Rome*, 119-121.

(٣) Brehier, L., *Byzance*, 96.

(٤) Delehaye, H., *Synaxarium Constantinopolotanum*, Col. 725.

الخامس . وكان قويم الرأي يقول باكرام الايقونات فحاول قسطنطين ردعه فلم يفلح فأمر بنفيه الى قلعة بيموليسة في البونط في آسية الصغرى فتوفي فيها . ونكاد لا نعلم شيئاً عن والدته افذوكية. وجلّ ما تبقي من اخبارها انها شاطرت زوجها مشقات المنفى وانها شاهدت عظمة ابنها ولجأت الى احد الاديار[٢] . ونشأ نيقيفوروس في ظل القصر فدرس في مدرسته واتقن اللغة اليونانية وآدابها ثم العلوم كالفلك والهندسة ثم الفلسفة . ولا نعلم متى شرع في درس اللاهوت ولكن مصنفاته تظهر تضلعه ورسوخ قدمه في هذا العلم ايضاً . والتحق نيقيفوروس بالمعية السنية فخدم برتبة سكرتير معاون يأتمر بارشادات طراسيوس السكرتير الاول الذي أصبح بطريركاً مسكونياً فيما بعد[٣] . وكان معتدلاً متزناً فتمكن من التوفيق بين استقامة رأيه في العقيدة وبين سياسة البلاط . وتدل اعمال المجمع المسكوني السابع ان نيقيفوروس قام بمهات معينة لدى الآباء المجتمعين في نيقية فهو الذي قدم غريغوريوس اسقف قيصرية الى المجمع باسم الفسيلفس وهو الذي قرأ رسالة البابا ادريانوس الى الفسيلفس امام المجمع ولعله هو الذى نظم هاجياً المحطمين لدى الانتهاء من اعمال المجمع[٤]. ثم كان ما كان من أمر المشادة بين ايرينة وابنها قسطنطين السادس . فسئم نيقيفوروس السياسة والادارة وانعزل عن الناس (٧٩٧) ولجأ الى كهف في جبل مقفر يطل على بحر مرمرا . وجاء في احدى رسائل نيقيفوروس نفسه انه رأى ان لاخلاص بدون انعزال فابتعد وتقشف وعكف على الابتهال والتأمل[٥] . ولا يجوز القول انه تحلى بالاسكيم في هذه الآونة لان المراجع تذكر ترهبه قبيل ارتقائه الى السدة البطريركية المسكونية[٦]. وفي حوالي السنة ٨٠٢ وعلى اثر سقوط ايرينة أُكره نيقيفوروس على الخروج من عزلته ليتولى ادارة بيت الفقراء في القسطنطينية. فتولى نيقيفوروس ادارة هذه المؤسسة الخيرية وظل يدبر شؤونها حتى تمّ انتخابه خلفاً لطراسيوس البطريرك المسكوني[٧] .

ورقد طراسيوس بالرب في الثامن عشر من شباط سنة ٨٠٦ .فشاور الفسيلفس نيقيفوروس

(١) Ignatius Diaconus, *Vita Nicephori*, 143.

(٢) *Theodorus Studita, P.G.*, Vol. 99, Col. 1174.

(٣) *Vita Tarasii*, (Heikel), 397.

(٤) *Mansi*, XII, Col. 1055, XIII, Col. 459; *Vita Nicephori*, 147; Alexander, PJ.., *Patriarch Nicephorus*, 60-61.

(٥) *Epist. ad Leonem, P.G.*, Vol. 100, Col. 173 f; *Vita Nicephori*, 148.

(٦) Alexander, P.J., *op. cit.*, 62-63.

(٧) *Vita Nicephori*, 152; Janin, R., *La Geog. Ecc. de l'Empire Byzantin*, III, 581 f.

الاعيان وكبار رجال الاكليروس في أمر الخلف مؤكداً انه يؤيد مرشح الاكثرية الملهمة من الله[١] . فكتب ثيودوروس الاستوديتي الشهير الى الفسيلفس يأسف ان ليس هنالك مرشح كامل الصفات . وأضاف انه يجب التفتيش عن شخص تدرج في الكهنوت تدرجاً طبيعياً. فاما ان يكون اسقفاً واما ان يكون رئيس دير او عمودي او حبيس او اكليريكي يستطيع معاونة الذين يقعون في التجربة[٢] . ولم يرشح ثيودوروس نيقيفوروس ولم يرضَ عن ترشيحه. وماشى ثيودوروس في هذا كله نسيبه بلاطون السكوذيوني . واومأ الى ثيودوروس مرتئياً ترشيحه[٣] . ولم يُجمع الآباء والاعيان على مرشح واحد. ولم يفز احد باكثرية ملموسة فرشح الفسيلفس سميَّه نيقيفوروس رئيس المؤسسة الخيرية . ووافق جمهور الاعيان والآباء على اقتراح الفسيلفس فتم انتخاب نيقيفوروس بطريركياً مسكونياً في اوائل نيسان . ومانع نيقيفوروس كثيراً ثم خضع لارادة الرب وعاهد الله والكنيسة ان يكون الراعي الصالح والاسقف الامين. وقدَّم النذر ولبس الاسكيم في الخامس من نيسان في دير القديسين سرجيوس وباخوس . وفي التاسع من الشهر نفسه سيم شماساً في المقر البطريركي ثم كاهناً في العاشر منه في يوم الجمعة العظيمة . وأعلن البطريرك المنتخب ايمانه فجاء ارثوذكسياً .وفي يوم عيد الفصح سيم اسقفاً ثم نُصب بطريركاً في كنيسة الحكمة الالهية[٤] .وحرر نيقيفوروس رسائل الجلوس وبعث بها الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم.ولكنه امتنع عن اعلام بابا رومة نزولاً عند رغبة سميّه الفسيلفس . فالبابا لاوون الثالث كان قد ارسل الفيكسيلوم vexillum علم رومة الى كارلوس لمناسبة ارتقائه السدة الرومانية في السنة ٧٩٥ بدلاً من ارساله الى القسطنطينية. وكان قد لجأ الى الافرنج ايضاً عند تأزم الحالة في رومة سنة ٧٩٩ .وفي السنة ٨٠٠ كان هذا البابا نفسه قد توج كارلوس امبراطوراً. وكان قد ماشى كارلوس والبابا ادريانوس فاعتبر المجمع المسكوني السابع مجمعاً محلياً لا مسكونياً. وفي السنة ٨٠٦ عندما رقي نيقيفوروس السدة القسطنطينية كان نيقيفوروس الفسيلفس في حالة حرب مع كارلوس فامتنع البطريرك عن ارسال رسالة الجلوس الى البابا لان الفسيلفس نهاه عن ذلك. فلما سقط الفسيلفس في ميدان القتال في السنة ٨١١ عمل نيقيفوروس البطريرك بالتقليد الكنسي واعلم اخاه حبر رومة بارتقائه

(١) *Vita Nicephori*, 153 f.

(٢) THEODORUS, P.G., vol. 99, col. 960—961

(٣) ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 67.

(٤) *Vita Nicephori*, 157; COTLIARCUIC, N., *Die Besetzungsweise* des *Partiarchalstuhles von Konstantinopel*; ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 68—70.

الكرسي القسطنطيني[١] . ويلاحظ هنا ان السيد ميخائيل متروبوليت عمان وشرق الاردن على الروم الكاثوليك قد تسرع فقال في السنكسار تحت الثاني من حزيران: « ان اول عمل اتاه نيقيفوروس كانت تلك الرسالة التي بعث بها الى الحبر الاعظم البابا لاوون الثالث » .

الفيلفس وابنه وصهره: ومع ان نيقيفوروس اخمد ثورات داخلية عدة فانه لم يوفق في حروبه الخارجية. فالرشيد احتل في السنة ٨٠٦ تيانة وجعلها قاعدة لاعماله الحربية وغزا رودوس في السنة ٨٠٧ . وفي السنة ٨١١ سقط نيقيفوروس في ميدان القتال ضد البلغاريين فقطعوا رأسه واتخذوا جمجمته كأساً وجرح ابنه ستوراقيوس وتوفي . فتولى العرش بعده صهره ميخائيل الاول رنغابيس زوج بروكوبية بنت نيقيفوروس. وكان هذا لطيف المعشر معجباً بالرهبان فأبعد عن الوظائف جميع اعداء الايقونات فأثار غضبهم ودفع بهم وبمن قال قولهم الى التآمر . وكان المهاجرون الشرقيون الذين نقلوا من الولايات المتاخمة لحدود العرب الى العاصمة وتراقية لا يزالون يقولون اقوالًا لم تقرها المجامع المسكونية. فشن البطريرك نيقيفوروس حرباً على هؤلاء وتمادى في القسوة فعادت المشادة الدينية الى ما كانت عليه من قبل .

لاوون الخامس الارمني: (٨١٣—٨٢٠) وكانت الحرب البلغارية لا تزال ناشبة. ووصلت طلائع البلغار الى اسوار ادريانوبل . فأعد ميخائيل الاول جيشاً وزحف به الى الجبهة في ايار السنة ٨١٣ فدارت الدائرة عليه وانهزم فنادى الجند بلاوون الارمني، احد كبار القادة فيهم، فسيلفساً . فتنازل ميخائيل وترهب .

وأقسم لاوون يمين الولاء للكنيسة . وقطع وعداً بان يحافظ على عقائدها ومصالحها . ولكن جنوده كانوا آسيويين لا يحترمون الايقونات وكان هو وصولياً في سياسته. فلما استتب له الامر وتخلص من خطر البلغار نكث يمينه ونبذ عهد الولاء للكنيسة . وكان مراوغاً مداورًا فبث بادئ ذي بدء ان ما حلّ بالدولة من ضعف وما احدق بها من خطر انما نشأ عن العودة الى تكريم الايقونات. ثم عيّن لجنة لجمع ما جاء من اقوال الثقات في تأييد التحطيم. وتألفت هـذه اللجنة من شيخين من مجلس الشيوخ ومن انطونيوس اسقف سيلايوم ومن القارئ يوحنا الكاتب ومن الراهبين لاوونديوس وزوسيماس[٢]. وأهم هؤلاء واكثرهم نشاطاً

(١) *Epist. ad Leonem, P.G.*, vol. 100, Col. 196—197; GRUMEL.*Reg.*, 382; ALEXANDER,P.J., *op. cit.*, 101—110.

(٢) *Theosterictus, Vita Nicetae, Acta Sanctorum*, Aprilis 1, App. col. 29 ff.

القارئ يوحنا الكاتب[1]. وعملت هذه اللجنة بجد ونشاط فاعدت مجموعة عرفت بالانثولوغيون وجاء معظمها من اعمال مجمع التحطيم مجمع هيرية[2].

دفاع نيقيفوروس وقيه : (٨١٤) وفي حوالي منتصف كانون الاول من السنه ٨١٤ استدعى الفسيلفس لاوونُ البطريركَ نيقيفوروسَ الى القصر وقال له ان الشعب يرى ان ما حلَّ بنا من ضعف انما نشأ عن تكريم الايقونات. فهل لك ان تتدبر هذا الامر فترفع الايقونات القريبة من متناول المؤمنين[2]؟ فامتنع البطريرك ورفض الدخول في بحث لاهوتي مع لجنة لاوون. وعاد الى مقره وجمع عددًا من رجال الاكليروس والشعب ونقل اليهم رغبة الفسيلفس ورجا الله أن يخيّب أمل الفسيلفس ويحبط مسعاه فغضب الفسيلفس وأنفذ جماعة من الجند فرجموا ايقونة السيد فوق باب خالكي ثم تدخل هو فأمر برفع هذه الايقونة لصيانتها. فاقضَّ هذا العمل مضجع الآباء فتجمعوا في دار البطريركية في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ٨١٤. وقام البطريرك فيهم خطيبًا فقرأ على مسامعهم الانثولوغيون الذي اعدته لجنة الفسيلفس وفنّده تفنيدًا. ووافق المجتمعون على موقف البطريرك ووقعوا عهدًا على انفسهم الا يفترقوا وان يتحملوا عذاب الموت دفاعًا عن الايقونات[4] وكان بين هؤلاء افثيميوس رئيس اساقفة ساردس واميليانوس متروبوليت كيزيكوس ويوسف تسالونيكية وافدوكسيوس العمورية وميخائيل سينادة وثيوفيلاكتوس نيقوميذية.

وفي صباح عيد الميلاد توجه البطريرك واعوانه الى القصر بناء على دعوة الفسيلفس. فاستدعى الفسيلفس البطريرك اولًا ووجه اليه اسئلة لاهوتية امام اعضاء اللجنة الملكية تتعلق بموقفه من الايقونات. فأجاب عنها كلها[5]. وظلت المشكلة قائمة. ثم استدعى الفسيلفس جماعة البطريرك وادخل الى الردهة عددًا من رجال البلاط بيزاتهم الرسمية وسيوفهم. فاتخذت الجلسة شكل نزاع بين الدولة والكنيسة. وعاد الفسيلفس فذكر جماعة البطريرك بموقف الشعب من الايقونات واكد احترامه لها ولكنه رجا الآباء ان يبحثوا مع زملائهم قضية الايقونات لعلهم يتوصلون الى حل يرضي الجميع. فقال اميليانوس متروبوليت كيزيكوس :

---

(١) Alexander, P.J., *Nicephorus*, 235 f.

(٢) *Scriptor Incertus de Leone Armeno*, *P.G.*, vol. 108, col. 1025.

(٣) Grumel, Reg., 390; Brehier, L.,*Sur un texte relatif au début de la querelle Iconoclaste*, Echos d'Orient, 1938; Martin, E.J., *op. cit.*, 31, 165.

(٤) Grumel, *Reg.*, 391·

(٥) *Vita Nicephori*, 167 ff.

« نبحث امور الكنيسة بالكنيسة » . فذكره الفسيلفس انه هو ايضاً ابن الكنيسة وانه سيصغي الى اقوال الطرفين ثم يحكم بالحق . فقال ميخائيل سيناذة : « اذا كنت وسيطاً فلماذا تحمي احد الخصمين في قصرك ؟ » واضاف بطرس نيقية : « وكيف نجادل هؤلاء وانت معهم ؟ فانك لو حميت المانويين لتغلبوا علينا ! » واخيرًا قال ثيودوروس الاستوديتي قوله المأثور : « لا تعكر صفاء الكنيسة فالرسول قال : « وهو الذي اعطى بعضاً ان يكونوا رسلًا وبعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة ومعلمين منظماً هكذا القديسين لاجل عمل الخدمة في سبيل بنيان جسد المسيح ». ولكنه لم يذكر الاباطرة ! وقد سلّم الله تعالى اليك مقاليد الدولة والجيش . فاعتنِ بهما واترك الكنيسة لرعاتها ومعلميها . واذا كنت لا ترضى فاننا لا نصغي الى ما تقول ولو نقله الينا ملاك من السماء »[1] .

فغضب لاوون ولكنه امسك وتربّص . فامتنع اولًا عن اكرام الايقونات يوم عيد الظهور . ثم استمال عددًا من كبار رجال الاكليروس الذين كانوا قد قطعوا العهد على انفسهم ليلة عيد الميلاد الا يفترقوا وان يتحملوا عذاب الموت دفاعاً عن الايقونات محاولًا بذلك عزل البطريرك وتجريده من اعوانه[2] . فكتب البطريرك الى الفسيلسة راجياً تدخلها لدفع الاذى . وكتب بالمعنى نفسه الى احد كبار رجال البلاط . فاوفد الفسيلفس عددًا من الاساقفة المحطمين الى البطريرك ليخيّروا البطريرك بين البقاء على السدة وبين رفع الايقونات القريبة من متناول المؤمنين . فأبى البطريرك . فكتب الفسيلفس اليه يقول : « استقل لان الكنيسة ليست في حاجة اليك » . فاجاب البطريرك : « ايها الفسيلفس اني لا استقيل من تلقاء نفسي لاني لم افعل شيئاً يوجب الاستقالة . ولكن اذا اكرهتني على التنازل لاني قويم الرأي تقي او ارسلت من يكرهني على ذلك فاني اتنازل »[3] . فعين الفسيلفس توما البطريق سكيفوفيلاكساً واوعز الى الاساقفة المحطمين ان يلتئموا مجمعاً وينظروا في قضية البطريرك وينزلوه تنزيلًا . فتجمعوا وذهبوا الى دار البطريركية وقرأوا قرارهم امام البطريرك . فاعتبر البطريرك عملهم غير قانوني واكد ان ادانته لا تجوز الا على يد انداده كبابا رومة او احد البطاركة الآخرين . فخرج الاساقفة من الدار البطريركية وهتفت الجماهير بسقوط جرمانوس وطراسيوس ونيقيفوروس . وحاول بعضهم قتل البطريرك فلم يفلحوا . فاستقال البطريرك وخرج من

(١) *Vita Nicephori*, 187; *Vita Nicetae, op. cit.*, App. col. 29 f.; Metrophanes, *Life of Euthymios of Sardis, Chalki*, fols. 226—251; Ehrhard, A., *Uberlieferung und Bestand*, I, 909—512; Alexander, P.J., *op. cit.*, 130—132.

(٢) *Vita Nicephori*, 189.

(٣) Grumel, *Reg.*, 399; *Vita Nicetae*, col. 30.

الدار البطريركية في اليوم الاول من الصوم الكبير سنة ٨١٥ . فنفي عبر البوسفور الى خريسوبوليس[١] .

مجمع الحكمة الالهية : (٨١٥) وفي غد اليوم الذي نُزّل فيه نيقيفوروس دعا الفسيلفس السيلانتيون الى جلسة في قصره . وبعد ان اعلن استقالة نيقيفوروس طلب الى اعضاء السيلانتيون ان ينتخبوا يوحنا الكاتب خلفاً لنيقيفوروس. فاعترض البطارقة مبينين صغر سنه ودَخل اصله. فرشّح الفسيلفس ثيودوتوس ابن البطريق ميخائيل ميليسّينوس. وكان لطيفاً فاضلاً[٢] .

وفي نيسان هذه السنة نفسها عقد الفسيلفس مجمعاً محلياً في كنيسة الحكمة الالهية. فترأس الجلسات البطريرك الجديد ثيودوتوس وناب عن الفسيلفس ابنه سيمباتيوس . وتألف المجمع من الاساقفة المحطمين ومن زملائهم الذين انحازوا اليهم بعد المشاورة بين لاوون ونيقيفوروس. وقرئ الانثولوغيون في الجلسة الاولى ثم ثبتت مقررات مجمع هيرية (٧٥٤) . وبحث الآباء في الجلسة الثانية نقاط الخلاف بينهم وبين زملائهم الارثوذكسيين . ثم ادخلوا بعض هؤلاء الى قاعة الجلوس وحاولوا اقناعهم بوجوب التحطيم. فلم يذعنوا فضُربوا ضرباً ورفسوا رفساً. وفي الجلسة الثانية قرئ الاوروس بحضور الفسيلفس نفسه ووقع[٣] .

تشويق وضغط واضطهاد : وشوّق الفسيلفس والبطريرك تشويقاً . فلم يطلبا بادئ ذي بدء سوى الاعتراف ببطريركية ثيودوتوس والاشتراك معه في الخدمة . فقد جاء في بعض المراجع ان البطريرك الجديد ناول الرهبان في كنيسة حافلة بالايقونات ولعن كل من لا يكرم ايقونة السيد[٤] . واكد يوحنا الكاتب الى احد رؤساء الاديار أن الفسيلفس يكرم الايقونات وانه هو ايضاً يحترمها ![٥]

واكتفى لاوون الخامس ، فيما يظهر ، بنفي الاساقفة والرهبان وبحبسهم. فنفى البطريرك

---

(١) Alexander, p.j., *op. cit.*, 134—135.

(٢) *Scriptor Incertus*, *P.G.*, vol. 108, col. 1036.

(٣) Alexander, p.j., *op. cit.*, 137—140.;Serruys, d.,*Les Actes du Concile Iconoclaste de l'An* 816, *Mélanges d'Arch. et d'Hist.*, Écloe Franc. de Rome, 1903, 345—351.

(٤) *Vita Nicitae*, Col. 31.

(٥) *Sabas*, *Vita Macarii*, *Anal. Boll.*, 1897, 155.

الى دير الاغاثون بالقرب من خريسوبوليس ثم نقله الى دير القديس ثيودوروس[١] . وبقي البطريرك في هذا الدير حتى وفاته في السنة ٨٢٩ . وليس لدينا من المراجع ما ينبئنا باخبار البطريرك في منفاه.وقد يجوز القول ان طعامه كان كافياً وان كتبه كانت متنوعة وانه كتب وصنف[٢] . ونفى لاوون ثيودوروس الى قلعة في بيثينية ومنع الاتصال به. ثم نقله في السنة ٨١٩ الى ازمير.فبقي مسجوناً فيها حتى وفاته في السنة ٨٢٦ .وكتب من سجنه يشدد عزائم الرهبان واستغاث ببابا رومة وبغيره من البطاركة[٣] . ولجأت السلطات الى الجلد والتسخير في بعض الاحيان . ولم يستشهد من الاستوديين اشد الرهبان مقاومة للسلطات سوى القديس تاديوس[٤] . ولولا حماس القديس ثيودوروس واندفاعه في التبشير بالارثوذكسية والتنديد بالتحطيم لما اقدم لاوون على التضييق والضغط[٥] .

ويلاحظ ان التشديد في التحريم والتحطيم لم ينحصر في هذه الدورة الثانية في عاصمة الدولة كما ارتأى العلامة البريطاني بيوري وغيره من رجال البحث[٦] . فرسائل القديس ثيودوروس والقديس نيقيفوروس تبين ان التشديد حل في طول الدولة وعرضها[٧] . ويلاحظ ايضاً ان القول بالتحريم والتحطيم لم ينحصر في اوساط الاساقفة في هذه الدورة بل تعداها الى الاديرة فقال به هذه المرة اصحاب الاموفوري وحاملو الاسكيم[٨] .

الاسرة العمورية : (٨٢٠) واشرك لاوون الخامس ابنه في الحكم . ولكن رفاقه في السلاح الذين أوصلوه الى العرش ، وفي طليعتهم ميخائيل العموري ، لم يرضوا عن سياسته ومسلكه فتآمروا عليه . واكتشف لاوون هذه المؤامرة وقذف بميخائيل الى السجن ولكنه ترك شركاءه احرارًا. فاسرع هؤلاء وضربوا ضربتهم فهجموا على لاوون وهو في كنيسته الخاصة يصلي صلاة التوبة. فذبحوه على مقربة من المذبح واخرجوا ميخائيل العموري من سجنه وتوجوه فسيلفساً . فصار ميخائيل الثاني الالثغ (٨٢٠—٨٢٩) .

(١) Pargoire, J., *A Propos de Boradion*, Byz.Zeit., 1903, 496 f.; Janin, R., *l'Eglise Byz.*, Rev. Etudes Byz., 1954, 69—99.

(٢) Photius, *Ep st.*, *P.G.*, vol. 102, col. 768.

(٣) *Vie de Saint Georges d'Amastris*, 110—136; *Theodorus Situdita*, *Epist.*, II, 15.

(٤) Vorst. Chr. van de, *S. Thaddée Studite*, Anal. Boll., 1912, 157—160.

(٥) Alexander, P.J., *op. cit.*, 145—146.

(٦) Bury, J.B., *East Rom. Empire*, 141; Martin, E.J., *op. cit.*, 174.

(٧) Alexander, P.J., *op. cit.*, 142—144.

(٨) *Theodorus Studita*, *Epist.*, II, 14.

ميخائيل الالثغ والايقونات : وأصدر ميخائيل امرًا منع فيه كل مشادة حول الايقونات . واستدعى من المنفى جميع المبعدين بسبب ذلك . واستقبل ثيودوروس الاستوديتي في قصره واكد له حرية العبادة . وقال لنيقيفوروس البطريرك : ليس لي ان ابتدع في الايمان ولا ان اجادل في التقاليد الموروثة او ان انقضها[1] . ولكنه قبل ان يتسنى له شيء من هذا اضطر ان يجابه ثورة مخيفة تطورت فايدها بعض المكرمين . فان توما احد رفاقه في السلاح طمحت نفسه الى الملك فسعى في ارمينية والبونط منذ اواخر عهد لاوون . فلما قتل لاوون ادعى توما انه قسطنطين السادس ابن ايرينة فالتف حوله مكرمو الايقونات . ورأى المستضعفون من سكان آسية الصغرى في توما محررًا فدخلوا في حزبه « فرفع الخادم يده في وجه سيده والجندي في وجه قائده والقائد في وجه اميره »[2] . وتفاهم توما والمأمون فأمدّه هذا بجيش قوي وأمر ايوب البطريرك الانطاكي ان يرسم توما فسيلفساً ففعل[3] .

ونهض توما بجيشه الى بر الاناضول وانتصر على جيش الفسيلفس . فأسرع ميخائيل الالثغ فاستدعى اليه زعماء القائلين بتكريم الايقونات وحاول اقرار السلام الديني بمؤتمر في القصر . ولكن ثيودوروس الراهب رفض الاجتماع مع المحطمين . وقصد توما القسطنطينية في اواخر السنة ٨٢١ وبدأ حصارها برًا وبحرًا . وكان قد احاط نفسه بالمسلمين وجاء منهم بعدد كبير فضعفت الحماسة له في اوساط المكرمين . ورفع ميخائيل علم الحرب على كنيسة سيدة بلاخرنة وترأس ابنه ثيوفيلوس موكباً رافعاً الصليب ورداء العذراء . فالتف حوله المحطمون والمكرمون ! ثم اتفق ميخائيل واامورتاج خاقان البلغار فأصبح توما امام عدوين . والحاز قسم من جيشه الى الفسيلفس فارتد الى اركاذيوبوليس . فحصره ميخائيل فسلم اليه في خريف السنة ٨٢٣ فقتله[4] .

ونزل المسلمون في جزيرة كريت (٨٢٦—٨٢٧) وثار يوفيميوس الصقلي وفاوض الاغالبة في شمال افريقية . وحاول ميخائيل الالثغ انتزاع جزيرة كريت من يد المسلمين فانفذ اليها حملة في السنة ٨٢٨ واردفها بحملة اخرى في السنة ٨٢٩ ولكن جهوده لم تثمر .

---

(١) Gelzer, H., *Abriss der Byz. Kaisergeschichte*, 967; Ternovsky, F.A., *Graeco-Eastern Church*, 487; Dobroklonsky, A., *Theodore the Confessor*, I, 849.

(٢) Theophanes, *Cont.*, 53.

(٣) Michel le Syrien, III, 57.

(٤) Theophanes, *Cont.*, 50 ff.; Vasiliev, A.A., *Byzance et les Arabes*, I, 49 ff.; Ostragorsky, G., *Byz. State*, 180-183.

ثيوفيلوس الاول: (٨٢٩–٨٤٢) وتوفي ميخائيل وفاة هادئة . فتولى الحكم بعده ابنه ثيوفيلوس . وكان هذا الفيلسوف رجل حرب فقاد جيوشه بنفسه واحرز بعض الانتصارات. وفي الوقت نفسه كان رجل ادارة وتدبير فترك في الخزينة عند وفاته ما يعادل مليون ليرة ذهبية . ويختلف المؤرخون في موقفه من الايقونات . فبعض يرى فيه عدوًا وبعض يراه معتدلًا مقتصرًا في اجراءاته على العاصمة وضواحيها[1] . والواقع انه رغم تعلقه بالسيدة العذراء وبالقديسين فانه اتخذ له مستشارًا عدوًا للايقونات وهو العالم الشهير يوحنا الكاتب . ثم جعل من صديقه هذا بطريركًا مسكونياً[2] . وكوى كفي العازر الراهب « المصور » بالحديد الحامي . وجلد ثيوفانس واخاه ثيودوروس الراهبين الفلسطينيين ووسم جبينهما بابيات من الشعر نظمها هو نفسه[3] .

اشارة ثيودورة وعصا القوة: (٨٤٣) ومرض ثيوفيلوس بداء الزحار وحضرته الوفاة . فحزنت ثيودورة الفسيلة وتألمت جدًا . ثم رأت زوجها في منامها يُجلد في حضرة السيدة والدة الاله والملائكة. فاستيقظت فسمعت ثيوفيلوس يصرخ: « ويحي انا الشقي فاني أُجلد من اجل الايقونات » . فوضعت ثيودورة فوقه ايقونة السيدة وتوسلت اليها . ورأى ثيوفيلوس انسانًا حاملًا حجاباً عليه صورة المسيح فاخذه وصافحه . فهدأ حاله وشفي حلقه وفمه. فاستيقظ معترفاً باكرام الايقونات. (التريوذيون — احد مستقيمي الرأي) .

وتوفي ثيوفيلوس في العشرين من كانون الثاني سنة ٨٤٢ . وخلَّف خمس بنات وابناً ذكرًا هو ميخائيل الثالث (٨٤٢–٨٦٧) . واذ كان ميخائيل هذا لا يزال في السادسة من عمره فان المليك الراحل جعل زوجته ثيودورة وصية على الملك القاصر . وعاونها في الوصاية مجلس تألف من كبار رجال الدولة .

وكانت ثيودورة من محبي الايقونات . وكانت موجة التحطيم قد خفت وتضاءلت. فدعت ثيودورة الآباء الارثوذكسيين الى مجمع ليحلَّ ثيوفيلوس زوجها من خطيئته في اضطهاد من كرَّم الايقونات. وطلبت الى البطريرك يوحنا الكاتب ان يشترك في اعمال هذا المجمع فأبى. فعزله مجلس الوصاية وأقام مثوذيوس المعترف بطريركاً محله . وصدَّق المجمع اعمال المجمع

(١) Bury, J.B., *East Rom. Emp.*

(٢) Alexander, P.J., *op. cit.*, 235-236.

(٣) Vasiliev, A.A., *Byz. Emp.* 286; Ostrogorsky, G., *Byz. State*, 186.

السابع المسكوني . وفي الاحد الاول من الصوم الكبير في الحادي عشر من شباط (لا اذار) سنة ٨٤٣ دعا البطريرك الشعب والاكليروس الى كنيسة الحكمة الالهية. وحضرت ثيودورة مع ابنها. ورفعت الايقونات المقدسة والصلبان الموقرة والانجيل الشريف وخرج الجميع الى المكان الذي كان يدعى ميليون صارخين : « يا رب ارحم » . ثم عادوا الى الكنيسة واكلوا القداس الالهي وعلقت الايقونات وفرز الاضداد . وأصبح هذا اليوم وما زال عيداً سنوياً لرفعها وانتصار الرأي الارثوذكسي. وأصدر البطاركة الثلاثة خريستيفوروس الاسكندري وايوب الانطاكي وباسيليوس الاوروشليمي بياناً مشتركاً اوجبوا به حماية الايقونات وتكريمها[١] .

ولا نزال نصلي ونرتل لهذه المناسة فنقول : « ايها السيد الغير المحصور بطبيعتك الالهية لقد تنازلت ان تتجسد في آخر الازمان وان تكون محصوراً لانك باتخاذك البشرة اقتبلت ايضاً جميع خواصها . فلذلك نرسم شكل تمثالك ونصافحه بالنظر الى الاصل متسامين نحو محبتك مسترفين منها نعمة الاشفية تابعين لتقليد الرسل الالهي ». ترِيوذيون: احد استقامة الرأي.

(١) Vasiliev, A.A., *Byz. Emp.*, 287; Boor, C. de, *Der Angriff der Rhos auf Byzanz*, Byz. Zeit., 1895, 449-453; Loparev, C., *Hagiography*, Rev. Byz., 1916, 172.

الفصل السادس

ثيودوروس ونيقيفوروس واستقامة الرأي

ثيودوروس الاستوديتي: (٧٥٩—٨٢٦) ولد في مدينة القسطنطينية في اواسط القرن الثامن . ونشأ وترعرع فيها . وقال قسطنطين الخامس بالابطال وتمادى وتاه فزهد بلاتون خال ثيودوروس واستقال من وظيفته في مالية الدولة ولجأ الى دير السيمبولي في جبل اوليمبوس في بيثنية وترهب فيه . وفي السنة ٧٧٥ أصبح رئيسه[1] . وكان صحيح الايمان ناضج العلم مُحكَم الرأي والتدبير فأسس في السنة ٧٨١ دير السكوذيون ودعا اليه رهباناً صادقين مخلصين . ثم سئمت شقيقته ثيوكتيستة الحياة في القسطنطينية وشاركها زوجها فوطينوس رأيها . فقاما باولادهما ثيودوروس ويوسف وافثيميوس الى بوسكيتيون بالقرب من السكوذيون وعاشوا عيشة تبه ومسكنة . واستأنس ثيودوروس بالوحشة وأخلد الى الوحدة فلفت بذلك نظر خاله بلاتون . فأرهف بلاتون عزم ثيودوروس وحبب اليه الرهبنة وقبله في ديره[2] . فارس الحراثة والزراعة وقرأ الاسفار وكتب الآباء . فاعجب بباسيليوس الكبير وانكب على عظاته ورسائله يغرف منها غرفاً . ورغب ثيوذوروس في تطبيق قوانين باسيليوس فوافقه خاله على ذلك ورقاه الى درجة الكهنوت على يد البطريرك طراسيوس ثم جعله في السنة ٧٩٤ رئيس السكوذيون[3] .

---

(١) *Vie de Saint Théodore le Studite, P.G.*, Vol. 99, Col. 121.

(٢) *Ibid.*, Col. 121-125, 236-241; Marin, *Saint Théodore*, 13 ff.

(٣) *Vie de Saint Théodore, P.G.*, Vol. 99, Col. 129-133, 248-249; Marin, *op. cit.*, 24-25.

واشتد نشاط ثيودوروس واتسع افقه فلم يكتفِ بارشاد الرهبان في الدير بل سعى لاصلاح الدولة باسرها وطالب بتعزيز المبادئ المسيحية واستقلال الكنيسة عن الدولة وحرية انتخاب الاساقفة وتطهير الكراسي من كل راشٍ او مرتشٍ . وقاوم المبطلين ودافع عن اكرام الايقونات فنُفي في السنة ٧٩٥ مع رهبانه الى تسالونيكية . ثم عاد الى القسطنطينية بعودة ايرينة الى الحكم اي في السنة ٧٩٧ .ووصل المسلمون الى بيثنية فلم يتمكن ثيودوروس من الرجوع الى دير السكوذيون فاقام في دير الاستوديون في العاصمة ورممه واصلحه[١] .

وليس لنا الآن ان ننظر في طريقة ثيوذوروس في الرهبنة واثرها في الحياة الرهبانية في الشرق ولا سيما في روسية[٢] وانما نريد ان نذكر مصنفاته ولا سيما موقفه من ابطال الايقونات. ونظم ثيودوروس بالاشتراك مع اخيه يوسف رئيس اساقفة تسالونيكية معظم كتاب التريوذيون الخشوعي . وكتب في اصول الايمان كتابي الكتاكيزموس الكبير والصغير فلقيا رواجاً كبيرًا . وتوفي في الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ٨٢٦ وتلاميذه حوله يرتلون المزمور : « طوبى للذين ».وتناول هو الاسرار واخذ يرتل هذا المزمور. فلما بلغ الى القول : « الى الدهر لا انسى حقوقك » أسلم الروح .

واشهر ما قال ثيودوروس في الايقونات ردوده الثلاثة على الهراطقة [٣] وهو يستعين في هذه الردود بجميع الحجج التي تذرع بها القديسان جرمانوس القسطنطيني ويوحنا الدمشقي ولكنه يظهرها بثوب ارسطوطاليسي مدرسي اكثر بكثير من ذي قبل . فهو يعالج في رده الاول مشكلة الحصر اي حصر المسيح ابن الله فيلجيء خصمه انكار اي اساسٍ لتصوير المسيح في الاسفار المقدسة فيجيب ان ما يصح عن النموذج وعن العلة يصح ايضاً عن المثال وعن المعلول . والفرق الوحيد انه انما يقال في الحالة الاولى على المعنى الاصلي ، اذ انه يقال بالمعنى الطبيعي ، بينما يقال في الحالة الثانية بالمعنى غير الاصلي لانه يقال بالتباس. وبالتالي يثير خصمه المبطل مسألة ما اذا كانت صورة المسيح هي المسيح ام صورته وحسب . فيجيب ثيودوروس ان المتقابلات ، اي الطبيعة والوضع والنموذج والمثال والعلة والمعلول والمسيح وصورته ، هي من حيث الجوهر والشكل والحقيقة مختلفة . فالصورة هي المسيح وصورته

(١) Delehaye, H., *Studion-Studios*, Anal. Boll., 1934, 64; Janin, R., *Eglises du Précurseur à Constantinople*, Échos d'Orient, 1938, 319.

(٢) *Lettre à Nicolas*, *P.G.*, Vol. 99, Col. 940-944, 1799-1812; Gardner Alice, *Theodore of Studium*, 93-94; Pargoire, *Une Loi Monastique de Saint Platon*, Byz.Zeit., 1899, 98-101.

(٣) *Antirrhetici*, *P.G.*, Vol. 99, Col. 329 ff.

معاً من حيث الشبه. وهي المسيح بالتباس وصورة المسيح نسبة. والاشارات للمفاهيم المتلابسة والمقولة النسبة في صلتها بالصور ، وكذلك مفاهيم التقابل والتوازي هي من الحجج الكبرى التي اعتمدها ثيودوروس ونيقيفوروس ايضاً . وهي من اصل ارسطوطاليسي واضح .

وفي رده الثاني على الهراطقة عالج ثيودوروس ما اذا كان ينبغي عبادة صورة المسيح ام لا. وهنا استمر المناقش الارثوذكسي في استخدام مفاهيم النموذج والمثال فأثبت ان المسيح نفسه يدعى المسيح بالترادف او بمعنى اصلي . اما صورته فتدعى المسيح بالتباس او بمعنى غير اصلي . ولكي يثبت ثيودوروس ان رسماً يمثل المسيح هو اولى بالعبادة من رسم يمثل الصليب ألجأ المبطل الى الاقرار ان الامثلة انما تختلف باختلاف نماذجها كما ألجأه الى اقرار ذلك في الرد الاول[1] .

ولرد ثيودوروس الثالث شكل خاص. فالمؤلف يُعلن في مطلعه ما يلي: « سوف استخدم بعض الاقيسة συλλογισμος في معرض بحثي . وهذه الاقيسة ليست مركبة على طريقة ارسطو او هواه بل هي قائمة على اساس لغوي ابسط هو قوة الحقيقة »[2]. ثم يعرب ثيودوروس عن أمله ان لا تذهب جهوده سدى عند القارئ. فالعالم بوسعه ان يستخدمها كاساس لمباحث اعمق بينما المبتدئ قد يعتبرها بمثابة مقدمة . ومن هنا ينطلق ثيودوروس الى تقسيم الموضوع الى اربعة « رؤوس » اي فصول . وهكذا يسم مقالته بسمة الشكل الادبي الخاص بها اي الرأس . فالرأس الاول يدور على مسألة حصر المسيح . والرد الايجابي يستند الى عدد كبير من الابيخيريماتة επιχειρηματα قياسياً. ويتلو واحدها الآخر تحت عنوان « يضاف الى ذلك ». وهذه الابيخيريماتة مقتبسة من المفاهيم الكلية في الفلسفة ومن الكتاب المقدس ومن الخريستولوجية . والبعض منها عبارة عن اعتراض للخصم يشفعه ثيودوروس بجواب او بابطال على سبيل الخلف reductio ad absurdum . ولما كانت آراء ثيودوروس الخريستولوجية تتخذ طابعاً ارسطوطاليسياً هو الطابع المتعارف منذ ايام لاونديوس البيزنطي فهذا الرأس يحفل بالاصطلاحات الارسطوطاليسية وهكذا فان ثيودوروس يدلل في الرأس الثاني على القول انه قد يكون لدينا صورة للمسيح يمكننا تأمله من خلالها فيثبت في الرأس الثالث ان عبادة

---

(١) *P.G.*, Vol. 99, Col. 360, 368.

(٢) *P.G.*, Vol. 99, Col. 389; SCHISSEL, O., "*Proclus, Elements of Theology*," Byz. Zeit., 1937, 113-117.

المسيح وعبادة صورته هما شيء واحد . ويقول في الراس الرابع ان للمسيح وصورته مثالًا واحدًا ومعبودًا واحدًا[1] .

نيقيفوروس: (٧٥٨—٨٢٩) وليس لنا ان نعيد الكلام في سيرة هذا الجليل في القديسين نيقيفوروس المعترف . فقد سبق الكلام في هذا الموضوع في تضاعيف هذه الرسالة . فليراجع في محله . وجل ما يجب قوله هنا هو ان نيقيفوروس كان كبيرا عظيماً اشتهر بدرايته واتزانه وصبره وثباته وتفانيه في خدمة الكنيسة واستقامة رأيه .

واقدم مصنفات نيقيفوروس تاريخه Ιστορια Συντομος وقد بدأ فيه بتاريخ مصرع الفسيلفس موريقيوس في السنة ٦٠٢ ووقف عند ذكر زواج لاوون الخزري من ايرينة في السنة ٧٩٦ . وقد عرفه علماء العصور الوسطى بال Breviarium[2] . ثم عرض له ما صرفه عن التأليف فعمل في القصر اولًا ثم اعتزل هذا العمل واهمل كل شيء وانفرد متنسكاً. ثم تولى امر المؤسسة الخيرية ومنها انتقل الى السدة البطريركية .

وحين سمحت له ظروفه بالعودة الى التأليف أملى عليه ايمانه الاهتمام بمسائل العقيدة فصنف بين السنة ٨١٣ و ٨١٥ ابولوغيته الصغرى[3] ليردع بها من كان قد ضل من رجال الكنيسة وليرد على ضلالة الابطال . ثم اردف هذه الابولوغية في السنوات ٨١٨ الى ٨٢٠ بابولوغيته الكبرى وفيها رسائله ضد الهراطقة[4] . وصنف ايضاً ردًا خصوصياً على المبطلين اسماه Adversus Iconomachos وأعد في السنوات ٨٢٠ الى ٨٢٨ مؤلفاً خصوصياً « لاوون الخامس. وكتابه في دحض اوروس مجمع السنة ٨١٥[5] .

ومما جاء في ابولوغيته الكبرى في الرد على الهراطقة ان الايمان المسيحي يرتكز الى الكتاب المقدس واقوال الآباء وقرارات المجامع وان بعض الرهبان والكهنة المزيفين دنسوا كهنوتهم وايمانهم فابوا ان يعترفوا بقرارات المجمع المسكوني السابع . واقبح اعمالهم في نظر نيقيفورس انهم يحاولون ردَّ كل شخص خاضع للصولجان الروماني . وهم يضيفون الى

(١) Ladner, G.B., *Origen and Significance of the Byz. Iconoclastic Controversy*, Med. Studies, II, 127-149; Alexander, P.J., *op. cit.*, 191-194.

(٢) Boor, C. de, *Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscila Historica*, Leipzig, 1880.

(٣) *Apologeticus Minor*, *P.G.*, Vol. 100, Col. 833-850.

(٤) *Apologeticus atque Antirrhetici*, *P.G.*, Vol. 100, Col. 533-831, 205-533.

(٥) *Refutatio et Eversio.*

سابق محصياتهم قول مستنبط هذا الاحاد قسطنطين الخامس ان المسيح اتخذ لنفسه جسداً لا يحصر . وقد جمع قسطنطين جملًا وعبارات من التوراة واقوال الآباء تشير الى الاصنام فما لبث ان طبقها على الرسوم المقدسة. وهو الذي نفخ روح الابطال في الصدور بعد ان استلهمها من الآريوسية والمانوية . وقد لا ينخدع احد بحجة التعبد للاصنام ولكن الحجة بالآريوسية خفية مكّارة لا بد من تفنيدها. فقسطنطين الخامس استند فيها الى اقوال افسابيوس الآريوسي وبعض مقاطع من اقوال الآباء فلم يدرك معناها . ثم ينظر نيقيفوروس في ادعاء المبطلين ان جسم المسيح لا يحصر بالتصوير απεριγραπτος فيعالج اقوال قسطنطين الخامس جملة جملة ويرد عليها واحدة واحدة . وينتقل نيقيفوروس بعد هذا الى الاجابة عن سؤال المبطلين ما اذا كان هنالك اساس للتصوير في النصوص فيدلي بحججه الواحدة تلو الاخرى. ويشمل بحثه هذا النظر في تصوير القديسين والملائكة كما يتضمن رداً على من ادعى ان عهد قسطنطين الخامس كان عصر رخاء. وهنا، فيبين فقر جمهور المبطلين ويذكر الضربات التي حلت على الشعب في عهد قسطنطين كطاعون السنة ٧٤٧ والزلازل والمجاعات .

اما كتابه الدحض Refutatio et Eversio فانه لا يزال بعيد المنال مخطوطاً[1] . وجل ما ظهر منه خلاصة بالانكليزية ألحقها الاستاذ بولس الكسندر بكتابه « نيقيفوروس »[2]. وقد جاء الدحض في قسمين رئيسيين تضمن الاول منها نقد اوروس مجمع السنة ٨١٥ ونقد الثاني محتويات الانثولوجية التابعة. وقد ضاهى نيقيفوروس النصوص التي جمعها المبطلون ونسبوها الى بعض الآباء بنصوص هؤلاء الآباء فاظهر تلاعب المبطلين وفساد استنتاجاتهم .

وكان نيقيفوروس من أُولي العرفان وأهل التحصيل فحضن المنطق المدرسي وتذرع بمفاهيم الكيفيات الجوهرية والخواص الدالة فرد على احجية قسطنطين الخامس، وقد سبق تفصيلها ، باعتبارها ضرباً من التخصيص على سبيل التعميم! ووافق نيقيفوروس المدرسيين في تمييزهم بين التحديد بالمعنى الدقيق والرسم . وعمد الى ابطال دعوى قسطنطين في ان تصوير المسيح يؤدي الى القول باقنوم آخر في المسيح بحسب الجسد منفصل عن وجوده الالهي فطبق على صورة المسيح النتائج المنطقية التي تلزم عن كونها معنى نسبياً بالمفهوم المدرسي. وهكذا توصل الى اثبات خلاف جوهري بين الصورة والمثال بريء عن النتائج الخريستولوجية التي استنتجها المبطلون .

(١) *Parisianus Graecus*, 1250; *Coislinianus*, 93; Blake, R.P., *Note sur l'Activité Littéraire de Nicéphore I, Patriarche de Constantinople*, Byzantion, 1939, 1-15.

(٢) Alexander, P.J., *op. cit.*, 242-262.

وبالاضافة الى المنطق تذرع نيقيفوروس بعلم الطبيعة المدرسي. فكثيراً ما يشير الى مذهب السببية عند المدرسين. فالنموذج والصورة عنده بمثابة العلة والمعلول. وفي ابطاله لمزاعم خصومه اعتمد كتاب الطبيعة وكتاب ما بعد الطبيعة لارسطو. فجعل لكلمة العلة خمسة معانٍ: الفاعل والآلي والنموذجي والمادي والغائي . وهذه المعاني تصدق في نظره على المصنوعات ايضاً . وصورة المرء هي نتيجة لهذه العلل . فالعلة النموذجية لصورة المسيح هي المسيح او ماهيته . والمبطلون في نظره يرفعون صورة المسيح الجسدية فيعتبرون بعملهم هذا صورته زائفة. وهكذا قل في سائر العلل .

مضامين الكتاب

الفصل الاول : الرسوم والصور والايقونات في القرون الاولى

الفصل الثاني : الاعتراض على الايقونات والنهي عنها واخراجها من الكنائس ٧٢٦ـ٧٥٤

الفصل الثالث : تحريم الايقونات وابطالها ٧٥٤ـ٧٧٥

الفصل الرابع : المجمع المسكوني السابع ٧٨٧

الفصل الخامس : الاسرة العمورية وابطال الايقونات ٨١٣ـ٨٤٣

الفصل السادس : ثيودوروس ونيقيفوروس واستقامة الرأي

أنجزت المطبعة الكاثوليكية ، في
بيروت ، طبع هذا الكتاب ، في
العاشر من شهر ايلول سنة ١٩٥٨

A study of Iconoclasm and Orthodox Sunday is particulary interesting to half a million Christians in the Churches of Antioch, Jerusalem, and Alexandria, who continue to use Greek side by side with Arabic in their prayers and who never cease to look for spiritual inspiration and guidance in the works of the Greek Fathers and the decisions of the seven Oecumenical Councils. To these Greek Orthodox and Greek Catholic Christians, the study of every aspect of Byzantine History is necessary for a correct understanding of their ecclesiastical, liturgical, and spiritual heritage. With their Semitic and Greek approach to Sacred Literature, and their modern scientific training, they must have much to say for a more correct understanding of Byzantine thought and general Christian philosophy and theology.

This little paper is a very humble effort to put together the results of European research on Iconoclasm and Orthodox Sunday. It is a pioneer attempt to place at the disposal of Arabic speaking Christians and Moslems, a scientific presentation of the problem of images in the Christian Church. It carries two messages to European scholars : Training in Greek language, literature, philosophy and theology, is not sufficient for a scientific study of Byzantine History. European centres of Byzantine studies must insist on thorough training in historical methodology. Then, in the second place, Welhausen, Lammens and other European scholars have exaggerated the liberal tendencies of Omayyad Courts. Like every other Moslem state, the Omayyad Kingdom was first and foremost a Moslem institution.

A. J. R.
Ras-Beirut
Aug. 15, 1958.

FOREWORD

This is in tribute to a hundred years of serious European scholarship in the field of Byzantine studies. It comes in Arabic to assure European scholars that the torch which they have carried for so long has already lit the way in Arab lands. The Jesuit University of Beirut, famous for its research, has not taken active interest in the field of Byzantine studies. Rev. Father René Mouterde, so famous for his research in the field of Greek epigraphy and archaeology is, however, preparing for the press a very valuable history of Syria, Lebanon, and Palestine up to the end of the Byzantine period. A scholar, a saint, and a gentleman, Father Mouterde has helped considerably to awaken interest in Greek studies in general. Three national universities, in Cairo, Damascus, and Beirut have already recognized the importance of Byzantine studies and have included such studies in their official programmes. The American University of Beirut gives one semester course in alternate years on the general history of the Byzantine Empire. Other universities in the Arab world will have to follow, and special chairs will have to be endowed for the promotion of research in these fields of knowledge. A thorough understanding of Arab thought, art, and history requires an adequate appreciation of Greek and Byzantine contributions to human culture and an exact knowledge of historical events across a contiguous border for centuries of history.

PUBLICATIONS DE L'UNIVERSITÉ LIBANAISE

SECTION DES ÉTUDES HISTORIQUES

V

ICONOCLASM AND ORTHODOX SUNDAY

Paper Submitted to the Eleventh International Congress for Byzantine Studies September 15-20, 1958

BY

ASAD J. RUSTUM, M.A., PH.D.

Professor of History
Lebanese National University
Beirut

BEYROUTH
1958